دراسات في الإعجاز العلمي
في القرآن الكريم والسنة النبوية

للدكتور

محمد إبراهيم أحمد رجب

جامعة الأزهر الشريف

دكتوراه في أصول الدين

قسم التفسير وعلوم القرآن

مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بدمنهور العدد الرابع الجزء الرابع ٢٠١٩م

دراسات في الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة النبوية

محمد إبراهيم أحمد رجب

جامعة الأزهر الشريف

قسم التفسير وعلوم القرآن

ragab_m83@yaho.com

الملخص

الهدف من البحث وخطة البحث

الفصل الأول

القرآن ومعجزات الأنبياء عليهم السلام – معجزة القرآن وخصوصية النبي صلي الله عليه وسلم – معني اعجاز القرآن– أهمية البحث في الاعجاز العلمي

القرآن أخبرنا بحقائق الكون – لاتصادم بين القرآن والعلم – أهم المؤلفات في الاعجاز القرآني

الفصل الثاني

عالم الانسان (الجبهة الأمامية للرأس) – العظام والاعجاز الطبي

خلق عيسي عليه السلام وحديث مريم ودعوة زكريا ووهن العظم والاعجاز العلمي فيه

قصة النوم في القرآن والاعجاز العلمي فيها واسلام (ارثر آليسون)

الفصل الثالث

الاعجاز العلمي في عبادات الإسلام – الصيام وصلاة القيام (التراويح)

الفصل الرابع

الاعجاز العلمي في القرآن

(عالم الحيوان)– البعوضة وضرب المثل بها – جسم النملة

الفصل الخامس

الاعجاز العلمي فى القرآن

(عالم الجماد)

كلمات اعجازية سيقت مساق الهداية – لفظ الذهب والفضة في القرآن والسنة – الجبال الأوتاد – التلقيح في النبات – دوران و كروية الأرض .

الكلمات الافتتاحية : دراسات في الاعجاز العلمي ، الاعجاز العلمي اعجاز القرآن وحقائق الكون ، الاعجاز في عالم الحيوانات

Summary

The aim and the plan of the research

Chapter one

The Qur'an and the miracles of the prophets, peace be upon them The miracle of the Qur'an and the privacy of Prophet Mohammed , peace and blessings be upon him

Meaning of the miracle of the Qur'an- The importance of the research in the scientific miracle - The Qur'an tells us the facts of the universe- There is no contradiction between the Qur'an and science- The most important writings(books) in the Quranic miracles

Chapter II

Human world (The forehead)- Bones and medical miracle

Jesus', peace be upon him creation , Mary's hadith, Zakaria's pray , the weakness of the bone, and the scientific miracle in it- The Story of Sleeping in the Qur'an, the Scientific miracle and(Arthur Allison's)converting to Islam

Chapter III

Scientific miracles in the worships of Islam- Fasting and qiyam (Tarawih) prayer- The fourth chapter- Scientific Miracles in Quran-(Animal World) Mosquito and using it as an example The body of the Ant

Chapter 5

Scientific miracle of the Qur'an

(Inanimate world)- Miraculous words taken as a course of guidance- The word(term) gold and silver in the Qur'an and Sunnah- Strong(huge)(massive) Mountains - Plant Pollination- Earth rotation and sphericality.

Key words: studies of the scientific miracle, the scientific miracle, the miracles of the Qur'an, and the facts of the universe, the miracles in the animal world

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام علي سيد المرسلين وخاتم النبيين ورحمة الله للعالمين محمد بن عبد الله صلوات الله وسلامه عليه ، والذي جاء بالقرآن الكريم والمنهج القويم ، وارض اللهم عن الصحابة أجمعين ومن تبعهم بإحسان إلي يوم الدين وبعد ٠٠٠٠٠

فقد خلق الله هذا الكون الرحيب ، وسخر ما فيه لهذا الإنسان الذي ميزه بالنطق والبيان ، وما كان هذا الإنسان ليعرف غاية وجوده من نفسه ، ولكن الله لم يتركه سدى وإنما بعث إليه الرسل تترا ٠

وما من نبي أرسله الله -تعالى- إلا بلسان قومه ليبين لهم ، وأيده بمعجزة لتكون دليلا وبرهانا علي صدقه فيما يبلغ عن ربه ، ومن واسع رحمة الله -تعالى- أن جعل معجزة كل رسول من جنس ما برع فيه قومه ، زيادة في التعجيز ، وتأكيدا علي أنها ليست من صنع البشر ٠

وحيث كانت معجزات الرسل السابقين مادية محسوسة تبهر الأبصار ، ولا سبيل للعقل في معارضتها، كمعجزة اليد والعصا لموسى -عليه السلام- ، وناقة صالح -عليه السلام- وغيرهم من الرسل ٠

لكن كل معجزة ذهبت بذهاب صاحبها ، من رآها فعليه أن يؤمن بها ، ومن لم يحضرها لا يطالب بشيء نحوها ٠

ولا يمكن لأي إنسان من غير المسلمين أن يدعي أن له معجزة الآن ، أما المسلم فإنه يفخر بمعجزته الباقية الخالدة وهي (القرآن الكريم) ٠

وذلك لأن رسالة محمد - ﷺ- معجزة خالدة باقية دون غيره من الأنبياء ، فكان القرآن الكريم معجزة الرسول العربي - ﷺ- بعلومه ومعارفه ، وأخباره الماضية والحاضرة والمستقبلية ، وحسن نظمه ، وسلامة أسلوبه ، ولذا قال الله -

تعالى- في أول سورة البقرة ﴿ الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ۝٣ وَٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ وَبِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ ۝٤ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدٗى مِّن رَّبِّهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ۝٥ ﴾ (١) (٢) .

وقد قال رسول الله –ﷺ– : (ما من الأنبياء نبي إلا أعطي من الآيات ما مثله – أو من أو – آمن عليه البشر وإنما كان الذي أوتيته وحيا أوحاه الله إلي فأرجوا أن أكون أكثرهم تابعا يوم القيامة) (٣).

والقرآن الكريم هو معجزة المعجزات لرسول الله –ﷺ– ولذا اتسع مجال البحث في هذه المعجزة الكبرى ، واستمر الدارسون في كشف وجوه الإعجاز منذ نزوله وحتى هذا العصر ، ولن يدركوا منتهاه .

فالحديث عن إعجاز القرآن الكريم ضرب من الإعجاز لا يقف المتأمل فيه علي سر حتى يري وراءه أسرارا ، وكلما تقدم العلم اكتشف ضروبا وفنونا من الإعجاز القرآني ، ولن تنتهي عجائب القرآن ذلكم القرآن الذي ﴿ لَّا يَأۡتِيهِ ٱلۡبَٰطِلُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَلَا مِنۡ خَلۡفِهِۦۖ تَنزِيلٞ مِّنۡ حَكِيمٍ حَمِيدٖ ۝٤٢ ﴾ (٤) يقول الإمام أبو حيان : وكفي بالقرآن وحده آية باقية علي وجه الدهر ، بديعة غريبة في الآيات ، دقيقة المسلك بين المعجزات .(٥)

(١) البقرة : الآيات من ١– ٥
(٢) الجواهر الحسان في علوم القرآن ، د/ أحمد محمد صيرة ص ٥٦/٥٧ .
(٣) صحيح البخاري – كتاب الاعتصام – الباب الأول (قول النبي –ﷺ– بعثت بجوامع الكلام) ٦/٢٦٥٤ حديث رقم ٦٨٤٦ – وفي كتاب فضائل القرآن – الباب الأول (كيف نزول الوحي) وصحيح مسلم – كتاب الإيمان – باب وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد –ﷺ– حديث رقم (١٥٢) ١/١٣٤ .
(٤) فصلت :٤٢ .
(٥) البحر المحيط ٥/١٣٩ .

ويقول مجد الدين الفيروزآبادي : وأفضل معجزاته وأكملها ، وأعظمها القرآن الذي نزل عليه ، بأفصح اللغات ، وأصحها، وأبلغها ، وأوضحها ، وأمتنها ، بعد أن لم يكن كاتبا ، ولا شاعرا ، ولا قارئا ، ولا عارفا بطريق الكتابة ٠[١]

ولقد جاء القرآن الكريم حينما اكتمل النضج البشري ، وارتقي العقل الإنساني، فناسب أن تكون معجزة الرسول -ﷺ- عقلية ، تحاج العقل البشري وتتحداه إلي الأبد ٠

بعد هذا التمهيد ، ننتقل إلي معنى إعجاز القرآن ، فنقول وبالله التوفيق ٠

إن إعجاز القرآن مركب إضافي ، معناه بحسب أصل اللغة : إثبات عجز الخلق عن الإتيان بما تحداهم به ، فهو من إضافة المصدر لفاعله ، والمفعول وما تعلق بالفعل محذوف للعلم به، والتقدير: إعجاز القرآن خلق الله عن الإتيان بما تحداهم به٠

يقول الفيروز آبادي : اعلم أن الإعجاز إفعال من العجز الذي هو زوال القدرة عن الإتيان بالشيء من عمل ، أو رأى ، أو تدبير .[٢] [٣] ولهذا فالمعجزة أمر خارق للعادة، مقرون بالتحدي ، سالم عن العارضة يظهره الله علي يد مدعي النبوة تصديقا له في دعواه ، كأنه يقول صدق عبدي فيما يبلغ عني ٠

والقرآن: هو كلام الله -تعالى- المنزل علي رسوله محمد -ﷺ- المتعبد بتلاوته ، المنقول إلينا بالتواتر ، المتحدي بأقصر سورة منه ، المكتوب بين دفتي المصحف ٠

ولذلك : فإن الكتابة والبحث والدراسة في مجال الإعجاز العلمي في القرآن والسنة غدت ضرورة ملحة ، حيث أمرنا الله سبحانه وتعالي بمخاطبة الناس بلسانهم وباللغة التى يفهمونها٠

(١) بصائر ذوي التمييز ٦٧/١ ٠
(٢)بصائر ذوي التمييز ٦٥/١ ٠
(٣) علوم القرآن عند أبي حيان – د/ محمد إبراهيم رجب – ص ٢٩٦ ٠

ولاشك أن التطور العلمي قد ترك آثارا علي الفكر البشري لا تنكر ، وفرض نفسه علي لغة التخاطب اليومية في مختلف أنحاء المعمورة ٠ (١)

وحيث أن الإعجاز العلمي في القرآن والسنة وسيلة من وسائل الدعوة القوية والمؤثرة في هذا العصر ، وأسلوب آخر من أساليب التبليغ والبيان لدين الله –عز وجل– لذا فقد أصبح أمرا مهما جديرا بالبحث والدراسة ٠

ولذلك اهتمت رابطة العالم الإسلامي – بمكة المكرمة – بإنشاء الهيئة العالمية للإعجاز العلمي في القرآن والسنة –وهي هيئة متخصصة – ووضعت القواعد والضوابط المهمة لمن يريد أن يبحث أو يكتب أو يحاضر في مجال الإعجاز العلمي للقرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة ٠

حتى تكون الجهود المبذولة في هذا الجانب الحيوي المهم جهودا مباركة تقوم علي أسس علمية سليمة ومنهجية صحيحة ، كما تقوم علي تقوي في التعامل مع كتاب الله وآياته وسنة نبيه –ﷺ– ٠

وإعجاز القرآن ثابت في أخباره ، وقصصه ، وأسلوبه ، وبلاغته ، وإشاراته العلمية ، قال –تعالى– : ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾ ﴾ (٢)

وبهذا أيقن السابقون من أهل العلم فقال –تعالى– : ﴿ وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ ٱلْحَقَّ وَيَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴿٦﴾ ﴾ (٣)

(١) الإعجاز العلمي في القرآن والسنة تاريخه وضوابطه – د/ عبد الله بن عبد العزيز المصلح – ص٦,٥ ٠
(٢) الإسراء :٨٨ ٠
(٣) سبأ :٦ ٠

وقال -تعالى- ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾ ﴾ (١)

فهذا هو الوليد بن المغيرة – يقول واصفا القرآن الكريم :

والله إن لقوله الذي يقول لحلاوة ، وإن عليه لطلاوة ، وإنه لمثمر أعلاه مغدق أسفله ، وإنه ليحطم ما تحته ، وإنه ليعلوا وما يعلى عليه ٠ (٢)

وقد تنبه المسلمون لأهمية الإعجاز في القرآن الكريم في وقت مبكر ، وأعطوه عنايتهم ، وكانت بدايات تلك الاهتمامات منصبة علي الإعجاز البياني ؛ ؛ لأنه الأظهر في إقامة الحجة زمن النبي -ﷺ- ، ولما كانت العرب يتمتعون به من فصاحة وبيان ٠

ولذا كان القرآن الكريم في إقامته للحجة عليهم بمثابة الآيات الحسية التي أعجز بها الأنبياء أقوامهم ٠يقول -تعالى- ﴿ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾ ﴾ (٣)

أهمية البحث في الإعجاز العلمي

إن معجزة القرآن هي معجزة خالدة باقية إلي يوم القيامة ، معجزة عقلية تخاطب القلوب ، تبتهج بها النفوس ، والقرآن خاتم الكتب السماوية ، ليس له عصر معين في إعجازه ، ولا زمن محدد في تحديه للبشرية كلها ، وهو لم يأت ككتاب علم ، هذه حقيقة يجب أن نضعها في أذهاننا ، ولكنه جاء في نفس الوقت كمعجزة خالدة باقية ، ومن هنا فإن فيه إعجازا لكل العصور ، إعجاز لمن عاشوا قبلنا ، وإعجاز لعصرنا هذا ، وإعجاز لمن سيأتون بعدنا حتى تنتهي الدنيا وما فيها ، والقرآن الكريم

(١) فصلت: ٥٣ ٠
(٢) تفسير عبد الرزاق ٢٢٨/٢ – وتفسير الطبري ١٢/ ٣٠٩ ٠
(٣) العنكبوت – ٥١ ٠

جاء لينذر من كان حيا ، ومن هنا فإنه موجه إلي الأحياء ، وتحديه هو بالنسبة لمن يقيمون علي هذه الأرض ٠ (١)

وهذا الدين القيم (الإسلام) هو دين الفطرة والعقل معا ، ولذلك كانت صلته بالعلم وثيقة ٠

فالعلم تجارب عملية لأفكار عقلية ، ومجال هذه التجارب هو الكون الذي شمل الإسلام علاقة الإنسان به كله ٠

وكان أول من سمى الإسلام (دين الفطرة) هو المرحوم الشيخ / عبد العزيز جاويش في عنوان رسالة له إلي مؤتمر المستشرقين عام ١٩٠٤م (٢) وقد أخذ رحمه الله وصف الإسلام بأنه دين الفطرة من قوله -تعالى-: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ (٣)

ولا عجب أن يهتم علماء المسلمين بهذا الإعجاز منذ نزول القرآن إلي أن تقوم الساعة ٠

ولم يظهر كعلم مستقل في عصر الصحابة أو قضية تحتاج إلي نظر واستدلال فجرى علي ألسنتهم عذبا زلالا وشعروا بفضله وتأثروا بجماله قال -تعالى- : ﴿ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ

(١) معجزة القرآن – الشيخ محمد متولي الشعراوي ص٣ مقرر الصف الثالث الإعدادي ١٩٩٣م-١٩٩٤م ٠
(٢) بين الدين والعلم د/محمد أحمد الغمراوي – سلسلة الثقافة الإسلامية عدد رقم ١٣ –ص ٥ ٠
(٣) الروم: ٣٠ ٠

جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٢٣﴾ ﴾ (١)

وجاء عصر التابعين وذهبوا ينتصرون للقرآن الكريم وأسلوبه وبلاغته ونظمه، وسار من بعدهم العلماء في كل العصور الإسلامية ، يبرزون سلاسة ألفاظه ، وحسن أسلوبه ، مستخدمين اللغة العربية لغة القرآن الخالدة ٠

وهنا نلفت النظر إلي أن القرآن بما اشتمل عليه من آلاف المعجزات قال – تعالى–: ﴿ لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ (٢) . وقال تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ ٱلْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ ٱلْمَوْتَىٰ ۗ بَل لِّلَّهِ ٱلْأَمْرُ جَمِيعًا ۗ أَفَلَمْ يَاْيْـَٔسِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَهَدَى ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ۗ وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُوا۟ قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ حَتَّىٰ يَأْتِىَ وَعْدُ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴿٣١﴾ ﴾ (٣)

وهذا القرآن كتب له الخلود ، فلم يذهب بذهاب الأيام ،ولم يمت بموت الرسول -ﷺ-بل هو قائم في فم الدنيا يحاج كل مكذب ويتحدى كل منكر ، ويدعوا أمم العالم جمعاء إلي ما فيه من هداية الإسلام وسعادة بني الإنسان ،حتى لا يكون لأحد عذر في ترك هذا الدين الأخير الذي هو خاتمة الأديان والشرائع ٠

وكان من أسرار الإعجاز فيه بلوغه في الفصاحة والبيان مبلغا يعجز الخلق أجمعين ، وكانت اللغة التي صيغت بها هذه المعجزة هي اللغة العربية دون غيرها من اللغات ؛ لأن اللغة العربية حين مبعث الرسول -ﷺ- كانت قد بلغت لدى الشعب العربي أوج عظمتها من الاعتناء بها ،وكان الشعب العربي قد استكمل حينئذ ملكة في

(١) الزمر: ٢٣ ٠
(٢)الحشر: ٢١ ٠
(٣)الرعد: 031

النقد والمفاضلة بين الكلام ،وكان مطبوعا علي الصراحة في الرأى فلما نزل القرآن لم يسع هذا الشعب الحر الصريح الأبي المتمهر في لغته ،إلا أن يلقي السلاح من يده ،ويخضع لسلطان هذا التنزيل وبلاغته ، بعد أن زاق حلاوته ولمس إعجازه ،وحكم بأن هذا الذكر الحكيم ،لا يمكن أن يكون كلام مخلوق من البشر ولا من غير البشر ،إنما هو تنزيل من حكيم حميد ٠ (١)

ومن ثم فالقرآن الكريم حجة الله البالغة علي عباده ،وموضع الحجة القاهرة فيه هي (إعجاز الخلق) وينبغي ألا يكون إدراك إعجازه موقوفا علي فصحاء العرب فإن الإنسانية كلها مخاطبة به ،ليس لأدمي فيه كلمة ولا حرف ، ولابد أن يتضح إعجاز القرآن لكل إنسان ٠(٢)

والواقع إن موضوع إعجاز القرآن لا يزال بكرا برغم كل ما كتب فيه من الناحية البلاغية والناحية اللغوية ومن ناحية الأسلوب ، والنظم وغير ذلك ٠

وما أريد أن أتناوله في هذا البحث هي (الناحية العلمية من الإعجاز) ، ولابد من استظهار أسرار آيات القرآن التي اتصلت بالعلوم جميعا ،ولا غرابة في أن يتصل القرآن بالعلوم جميعا ،فما العلوم إلا نتاج تطلب الإنسانية أسرا ر الفطرة ،والقرآن ما هو إلا كتاب الله فاطر الفطرة ،فلا غرو أن يتطابق القرآن والفطرة٠(٣)

يقول موريس بوكاي : إن دراستنا للكتب المقدسة تختص بما تنبئنا به الكتب المقدسة فيما يتعلق بالظواهر الطبيعية المتنوعة الكثيرة (العلمية) والتي تحيطها تلك الكتب بقليل أو كثير من التعليقات والشروح ، ولابد من الملاحظة أن الوحي القرآني

(١) منهل العرفان ٢/٢٨١، ٢٨٢ بتصرف يسير – طبعة دار الحديث ٠
(٢) الإسلام في عصر العلم د/ محمد أحمد الغمراوي ص٢٤٩ ٠
(٣) الإسلام في عصر العلم – ص٢٥٠ ٠

غني جدا في تعدد هذه المواضع وذلك علي خلاف ندرتها في العهدين القديم والجديد (التوراة والإنجيل) [١]

ولذلك نجد القرآن لا يحتوى علي أي مقولة قابلة للنقد من وجهة نظر العلم في العصر الحديث ٠[٢]

ولم يقف القرآن وإعجازه عند زمن محدد وإنما خرق حجاب المستقبل البعيد ، يقول الشيخ محمد متولي الشعراوي : مزق القرآن حجاب المستقبل ليعطي الأجيال القادمة من إعجازه ما يجعلهم يصدقون ويسجدون لقائله وهو (الله –تعالى–) ولكن القرآن نزل في زمن لو أن هذه المعجزات المستقبلية جاءت تفصيلية لكفر عدد من المؤمنين وانصرف آخرون ، ذلك أن الكلام كان فوق طاقة العقول في ذلك الوقت ومن هنا وحتى لا يخرج المؤمن عن إيمانه ويستمر الإعجاز جاء القرآن بنهايات النظريات ،وبقمة نواميس الكون ، إذا تليت علي المؤمنين في ذلك الوقت مرت عليهم ولم ينتبهوا إلي مدلولها الحقيقي العلمي ،وإذا تليت بعد ذلك علي الأجيال القادمة عرفوا ما فيها من إعجاز ،وقالوا أن هذا كلام لا يمكن أن يقوله شخص عاش منذ آلاف السنين ،إذا لابد أن هذا القرآن حق من عند الله ، وأن قائله هو الله الخالق ٠ [٣]

والإعجاز لسائر الأمم علي مر العصور ظل ولا يزال في موقف التحدي شامخ الأنف فأسرار الكون التي يكشف عنها العلم الحديث ما هي إلا مظاهر للحقائق العليا التي ينطوى عليها سر هذا الوجود في خالقه ومدبره ، وهو ما أجمله القرآن أو أشار إليه – فصار القرآن بهذا معجزا للإنسانية كلها ٠ [٤]

(١) دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة – ص١٣ ٠
(٢) المرجع السابق ص١٣ ٠
(٣) معجزة القرآن ص٤٨ ٠
(٤) مباحث في علوم القرآن – مناع القطان – ص٢٦٧ ٠

غير أن هذا الاهتمام لم يكن في زمن الصحابة والتابعين – رضي الله عنهم – وإنما جاء بعد ذلك لأسباب منها :

١- لمشاهدتهم أو قربهم من عجز الخصوم عن المعارضة وإذعانهم لتصديق القرآن الكريم ، ثم انتهاء المعارضين بإسلام أهل الجزيرة العربية ٠

٢- لانشغالهم - رضي الله عنهم – بالدعوة والجهاد ٠

٣- لبعدهم عن القضايا الجدلية الشائكة التي لا ينبني عليها عمل ٠

ولما وقعت الفتوحات الإسلامية ودخلت أمم جديدة في الإسلام كالفرس والرومان وكانت لها حضاراتها التي نقلوا بعضها إلي الثقافة الإسلامية ثم توسعوا في ذلك حتى ترجمت كتبهم إلي العربية ودخلت مصطلحاتهم إلي تراثنا الإسلامي فتصدى لهذا الوافد الجديد بعض العلماء بالرفض وعدم القبول بادئ الأمر ٠[١]

إلا أن قوة هذا الاتجاه ودعم السلطة له (الحكام) وظهور علماء مؤمنون به مكن له حتى أصبح فيما بعد اتجاها عاما ، ولذلك قبل العلماء هذه المصطلحات واستعملوها بعد أن نقحوها مما يخالف المعتقدات الشرعية ٠

وأصبح هذا المصطلح شائعا ومعروفا وكان أول من نسب إليه استخدام هذا اللفظ هو (النظام البصري المعتزلي المتوفى سنة (٢٣١هـ) [٢]

والظاهر أنه مسبوق كذلك ؛ لأنه كان يقول بأن العرب عجزوا لصرفهم عن المعارضة وهو مذهب باطل ٠

وأما أول من بحث هذه القضية وتصدى لها بالبحث – حسب المراجع المتوافرة – فهو أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ المتوفى سنة ٢٥٥هـ ٠

(١) مجموعة الفتاوى – ٩/ ٧ ٠

(٢) فكرة إعجاز لقرآن لنعيم الحمصي ص٤٠ ، وإعجاز القرآن – الباقلاني – ص٢٧ ٠

ويذهب أديب اللغة العربية الأستاذ / مصطفى صادق الرافعي – رحمه الله – إلي أن أول من قال إن لفظ القرآن غير معجز هو الجعد بن درهم – الزنديق المعروف – الذي قتل يوم النحر (عيد الأضحى) عام ١١٨ هـ ٠[١]

ويعتبر الجاحظ أول من تصدى لهذا الأمر وجعله موضوعا للنظر والدراسة [٢]

وقد توسع الجاحظ في مسألة سر الإعجاز والبلاغة ، وهل ذلك عائد إلي نظم القرآن الكريم وأسلوب صياغته أم هو عائد إلي المعنى ؟ وفصل في ذلك ورجح ٠[٣]

وهذا الصنيع يدل كذلك علي أن المسألة كانت مطروقة قبل الجاحظ وقد تكون ألفت فيها كتب وإن لم تصل إلينا ، إلا أن الجزم بذلك غير ممكن ٠

ولا شك أن الرجلين كانا علمين من أعلام المعتزلة إلا أن ذلك لم يمنع أهل السنة من بحث القضية باستخدام هذا المصطلح كما سيتبين إن شاء الله ٠

فقد استخدمها أبو الحسن الأشعري – رحمه الله – وتلميذه – الباقلاني وهما وإن تأثرا بمدرسة المتكلمين إلا أنهما ٠٠٠٠٠ المعتزلة وغيرهم بالحجة والبرهان ورجوع الأشعري إلي معتقد أهل السنة بجامع البصرة ثابت تاريخيا ٠

وممن صرح بهذا المصطلح واستعماله الخطابي ، وابن حزم ، وأبو بكر الجرجاني، والقاضي عياض ، وابن عطية وابن تيمية وتلميذاه ابن القيم وابن كثير وكذلك الشاطبي وابن حجر العسقلاني وغيرهم ٠

واستمر استعمال هذا المصطلح عند علماء المسلمين من غير نكير كما يدل عليه هذا التمثيل الجزئي ، فهو مستعمل عند المفسرين ، فإن كنا لا نجد التصريح بالمعجزة

(١)إعجاز القرآن ص١٤٣ ، ١٤٤ ، والأعلام للزركلي ١٢٠/٢، وفيات الأعيان ٤٧٠/٣ –٤٧٥
(٢) إعجاز القرآن في دراسات السابقين لعبد الكريم الخطيب ١٥٥/١ ، ١٥٦ ٠
(٣) راجع حجج النبوة التي هي ضمن رسائله ص١٤٤ نقلا عن كتاب عبد الكريم الخطيب السابق ٠

عند شيخ المفسرين ابن جرير الطبري –رحمه الله – كما يتضح من النقل السابق عنه ، وبالرجوع إلي الآيتين ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾ (١)

حيث إنهما أول مناسبة تتعلق بالإعجاز (وإن كان ذكر مادة الإعجاز هنا) – إلا أننا نجدها صريحة عند من جاء بعده من المفسرين • وهو موجود عند علماء الحديث ، كذلك ، كما يتضح من النقل عند الخطابي ، وابن حزم ، وعياض ، وابن تيمية ، وابن حجر –رحمهم الله – •

أما أهل الأصول (٢) والعقائد (٣) وأهل البلاغة (٤) فإنهم أفاضوا في استعمال هذا المصطلح أكثر من غيرهم ، ويظهر أن فكرة فن البلاغة نابعة من الخوض في مسألة الإعجاز كما يذهب إلي ذلك الأستاذ / نعيم الحمصي حيث يقول : (ولا ريب أن فكرة إعجاز القرآن كانت من أقوى البواعث علي نشأة علم البلاغة إن لم تكن أقواها جميعا) (٥)

هذا جزء من التدرج والتطور التاريخي لدراسات إعجاز القرآن الكريم من ناحية علماء البلاغة وأصول الدين والمفسرين والمحدثين ولم يقف الأمر عند هذا الحد فكان العلماء ينظرون في القرآن الكريم فيجدوا فيه إشارات علمية ونفسية واجتماعية تتحدث عن خلق السماوات والأرض وحركة الشمس والقمر ونزول الأمطار

(١)البقرة: ٢٣ – ٢٤ •
(٢) الموافقات للشاطبي •
(٣) العقيدة الطحاوية ص٥٥٨، ٥٥٩ •
(٤) دلائل الإعجاز للجرجاني – ص١٩٧ •
(٥) فكرة إعجاز القرآن لنعيم الحمصي – ص٤٥ •

وتكون طبقات الأرض ، والحديث عن الماء وأنه أصل كل شيء وعن خلق الإنسان ، ومراحل تكوينه المختلفة ودوره في هذه الحياة ٠

ونشأة أنواع الحيوانات والتطور والتسلسل الجيني وتكوين الأعضاء ، وظهور النجوم والكواكب والنيازك ، وطبقات الأرض ، ودوران الشمس والقمر والمنازل التي حددها الله -تعالى- ٠

كل ذلك وغيره مبثوث في ثنايا وآيات القرآن الكريم ، ومها ما كان واضحا يفهمه كل الناس ، ومنه الذي لا يطلع ولا يقف عليه إلا العلماء قال -تعالى- :

﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٧﴾ ﴾ (١)

ومنهم من كان خاصا بطائفة من العلماء قال -تعالى- : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ ثَمَرَٰتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهَا ۚ وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدٌۢ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴿٢٧﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلْأَنْعَٰمِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَ ۗ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾ ﴾ (٢)

وهم علماء الجيولوجيا والمختصين بدراسات طبقات الأرض وعلماء الحيونات والزراعة والأجناس البشرية وتكوين الجبال وعلم الصخور الأرضية والعصور الجيولوجية ٠

كل هذا فتح مجالات البحث في القرآن الكريم والسنة فكان التقدم الصناعي والإعجاز العلمي الذي أبهر الأمم في علوم النهضة الإسلامية حيث كانت أمة

(١)آل عمران: ٧ ٠
(٢) فاطر: ٢٧ – ٢٨ ٠

الإسلام تعيش أزهى عصورها والأمم من حولها تعيش في الظلمات والجهل كل ذلك بفضل الله -تعالى- وفضل القرآن الكريم وجهود العلماء المسلمين ٠

وجاء العصر الحديث فاجتهد العلماء المعاصرين في إبراز وجوه إعجاز القرآن العلمي وكتبت الكتب وألفت المؤلفات وكتبت الأبحاث وعقدت المؤتمرات وأنشأت المؤسسات والهيئات كل ذلك خدمة لكتاب الله العظيم ٠

ولذلك يقول الإمام أبو حيان :

إن محمدا -ﷺ- هو المفضل علي سائر الأنبياء حيث أوتي مالم يؤته أحد من الآيات المتكاثرة المرتقية (الزائدة) إلي ألف آية أو أكثر ، ولو لم يأت إلا بالقرآن وحده لكفى به فضلا منيفا (زائدا) علي سائر الأنبياء ، ؛ لأنه المعجزة الباقية علي وجه الدهر دون سائر المعجزات ، فالقرآن أعظم المعجزات ٠[١]

والقرآن الكريم آيات بينات تدل علي صدق النبوة ، ؛ لأنه معجز بنظمه وهو حكمة وعلوم وشرائع ، فليس هناك كتاب تفخر به الحياة ، وتعتز به الإنسانية ، وتهتدي بهداه الدول والشعوب ، والجماعات والأفراد ، غير كتاب الله الحكيم ٠ [٢]

(القرآن أخبرنا بحقائق الكون)

بعد أن تحدى الله –عزوجل – البشر جميعا قال -تعالى- : ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾ ﴾ [٣]

(١) البحر المحيط ٢/ ٢٨٣، ٥/ ١٣ ٠
(٢)البحر المحيط ٧/ ١٩٢، ٧/ ٢٢٥ ، الإسلام دين الإنسانية – محمد عبد المنعم خفاجي – ص٩٠، ٩١ ٠
(٣)فصلت: ٥٣ ٠

لم يقل : سنريهم آياتنا في الأرض ولا في الأفق ، بل قال : في الآفاق أي أن الله -سبحانه وتعالى - سيكشف لعباده بعضا من آياته ليبين لهم أن هذا القرآن هو الحق وكيف يتبين لهم أنه الحق ، ذلك أن حقائق الكون التي سيصلون إليها بعد مئات السنين أو آلاف السنين بنشاطات الزهن سيجدون القرآن قد أشار إليها ،وحينئذ يتبين لهم أن هذا القرآن هو الحق ؛ لأن الذي قال هو الله ، والذي خلق هو الله ، ومن هنا جاء في القرآن أن الأرض كروية ، وأنها تدور ،وجاء فيه كيفية خلق الإنسان ،وكيف تعلم الكلام ، وجاء فيه أن هناك ما هو أصغر من الذرة ، وجاء فيه وصف دقيق لما يحدث للجنين وهو في بطن أمه [١] وجاء فيه أن الليل والنهار يوجدان علي الأرض معا [٢] .

وحقائق أخرى كثيرة سنذكرها في ثنايا البحث إن شاء الله -تعالى- .

(دعوة القرآن إلي إمعان النظر في الكون)

إن الله سبحانه وتعالى يدعونا إلي النظر في الكون فيقول ﭽ وَكَأَيِّن مِّنْ ءَايَةٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ﴿١٠٥﴾ ﭼ [٣] أي أن هناك أشياء عجيبة خلقها الله في السماوات والأرض تتطلب من الإنسان أن يمعن النظر فيها .

ولكنه لا يمعن فيها النظر رغم أن الله سبحانه وتعالى طلب أن يمعن النظر في آياته ، وأن نستخدم نشاطات الذهن (البحث العلمي) في اكتشاف نشاطات الكون (حكة الكون) .[٤]

---

(١) يرجع في ذلك إلي بحثي : خلق الإنسان (تكوين الجنين في ظلال القرآن والعلم) كتب عام ٢٠٠٦م ،وكان البحث الفائز بالمركز الأول في دورة الإعجاز العلمي بالإسكندرية .

(٢) معجزة القرآن ص٥٣ .

(٣)يوسف: ١٠٥ .

(٤) معجزة القرآن ص٤٤ .

(لا تصادم بين القرآن والعلم)

إذا فالتصادم لا يحدث بين حقائق الكون والقرآن وإذا كان هناك تصادم فإنه يوجد عندما ندعي حقيقة علمية في الكون وهي ليست حقيقة علمية ،أو ندعي حقيقة قرآنية وهي ليست حقيقة قرآنية ،لا يمكن أن يصدم أبدا بحقيقة علمية ثبتت بالتجربة لأن قائل القرآن هو الله والفاعل هو الله ٠ (١)

(كلمة حول التفسير العلمي)

إن خدمة كتاب الله –عز وجل– ، سنة رسوله -ﷺ- من أجل الأعمال التي يبتغي لها العاملون وجه الله ، في جهد يخدم الأمة في دينها ، وذلك من خلال تقريب عمدة هذا الدين ، المتمثلة في الوحي الذي يختص بالقرآن الكريم والسنة المطهرة ، ولذلك فإنه مهما بذل أهل العلم من جهود في بيان حقائق هذين النيرين فإنهم بذلك يترجمون إرثا أكرمهم الله به – وندعو الله أن نكون منهم – من نبي الله محمد -ﷺ- حيث قال : (العلماء ورثة الأنبياء) (٢) ٠

يقول الدكتور عبد الحفيظ الحداد " ولا أدل علي عناية الدين الإسلامي بهذا المضمار من وجود ما يقارب من ألغى نص قرآني ومثلها في السنة المطهرة مما يتعلق بشتى المجالات الكونية من سماء وأرض وفضاء وبحار وأحياء ونباتات وكائنات دقيقة ، وحشرات وعلوم بحته من رياضيات وفيزياء وكيمياء ، وميكانيكا ، وكذا معرفة بالإنسان وأطواره وأحواله وغير ذلك من الميادين الكونية الآخرية والتي وجدت لمسائلها إشارات في تلك النصوص ، حيث أن معرفة نظم تلك العوالم وتقلبات أحوالها والأنظمة التي بثها الله – عز وجل – في ميادينها في تجلية معاني ودلالات تلك النصوص الكونية ٠ (٣)

(١) معجزة القرآن ص٥٧ ٠
(٢) سنن أبي داوود ، باب : الحث على طلب العلم –ج ١٠ ، ص٤٩ ٠
(٣) مجلة الإعجاز العلمي عدد صفر ١٤٢٩هـ ص٤٤، ٤٥ ٠

ويستمر الدكتور عبد الحفيظ الحداد في توضيح فكرته عن التفسير العلمي فنراه يقول : وإننا في هذا العصر قد وجدنا أن العناية بهذا اللون في التفسير – والذي كما قلنا – يتوجه إلي بيان النصوص الكونية في الكتاب والسنة من خلال استثمار الكشوف والتجارب في مختلف العلوم قد أغدق علي الباحثين المتمكنين في العلوم الكونية العطاء باكتشاف توافق باهر بين دلالات نصوص القرآن والسنة والحقائق الكونية التي استقرت بعد تأمل وتجريب ، ومقارنة وتحقيق ٠

مما يعني أن تلك النصوص الكونية كانت تحفل بأسرار عن الكون كانت غيبا بالنسبة لعموم البشر في زمن تنزل القرآن الكريم وأصبحت الآن في دائرة عالم الشهادة والمعرفة بالنسبة لأبناء هذا العصر الذي تميز بتسارع عجلة المعرفة فيه لدرجة وصف بأنه عصر (تفجر المعلومات) ولاشك أن هذا التوافق يعني بالضرورة (وجود إعجاز علمي باهر) لدي ملاحظة أن رجلا أميا نشأفي مجتمع لا يتسم بالحضارة ولا يتميز بمزيد علم قد وردنا ذلك عن طريق ، وهذا الرجل قد وجد في زمن كانت البشرية قاطبة علي جهل تام بتلك الحقائق ، بل كانت لا تملك هذه الوسائط والوسائل والأدوات التي سخرها الله لأبناء هذا العصر والتي بواسطتها مكن الله للبشر بعد امتلاكها معرفة تلك الحقائق والأسرار الكونية ٠ (١)

عند هذا الحد لابد من بيان المقصود بالتفسير العلمي : فنقول : يقصد بالتفسير العلمي : بيان معاني القرآن الكريم باستنباط مختلف العلوم الكونية والنفسية والعقلية، أو بتوظيف العلوم التطبيقية والبحثية والمعارف التجريبية الصحيحة بقدر الطاقة البشرية وفق القواعد الشرعية ، وهذا هو المقصود بالتفسير العلمي للقرآن الكريم ٠

(١) المرجع السابق –ص ٤٥ ٠

ونريد أيضا : نفي تهمة بعض المتفيهقين لمن يشتغل بهذا الاتجاه بالتفسير والضلال والتبديل ، وتوجيه لمن يشتغل بالتفسير العلمي إلي ضبط عمله التفسيري في إطار هذا التعريف ، وفي ضوء منهج الأئمة المعتبين ٠ (١)

إن علم التفسير نشأ بنشأة الرسالة الإسلامية ، وبدأ ببدء نزول القرآن علي النبي -ﷺ- فكانت الآيات المنزلة من عند الله -تعالى- تفتق مدارك العقل عند سامعيها العاقلين ، وكان الرسول -ﷺ- يفسر للصحابة ما أشكل عليهم في فهم القرآن الكريم وما أجمل من هذه الآيات ويعلمهم منهج استنباط المعارف القرآنية واستخراج الدرر المكنونة من علوم القرآن ، وكان المصدر في ذلك الوحي من عند الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ٠

عن مالك بن الحويرث قال : قال رسول الله-ﷺ- : (إذا أراد الله أن يخلق النسمة فجامع الرجل المرأة طار ماؤه في كل عرق وعصب منها فإذا كان يوم السابع ،أحضر الله كل عرق بينه وبين آدم ثم قرأ: ﴿ فِيٓ أَيِّ صُورَةٖ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ﴿٨﴾ ﴾) (٢)

بل كانت سنة النبي -ﷺ- للآيات المتحدثة عن مظاهر الكون والإنسان شرح وتبين له، وكانت المصدر الأول للصحابة –رضي الله عنهم– في فهم القرآن الكريم٠

ومن الأمثلة لاستنباط الصحابة والتابعين ما ورد عن ابن مسعود – ﷺ – : (من أراد علم الأولين والآخرين فليتدبر القرآن) (٣)

ويقول مسروق – رحمه الله – : (من سره أن يعلم علم الأولين والآخرين وعلم الدنيا والآخرة فليقرأ سورة الواقعة) (٤)

(١)مجلة الإعجاز العلمي د/ مرهف السقا ص٢٠ ٠
(٢) الإنفطار ٨ ٠
(٣) أخرجه سعيد بن منصور كما في الإتقان ٢٢٦/٢ – ط دار الفكر – بيروت ٠
(٤) أخرجه بن أبي شيبة في المصنف ٧/ ١٤٧ : تحقيق كمال يوسف الحوت – ط مكتبة الرشد ، الرياض ، الطبعة الأولي ١٤٠٩ هـ ٠

وذكر السيوطي في الإتقان (١) أن ابن سراقة نقل في إعجاز القرآن عن أبي عن مجاهد أنه قال يوما ما من شيء في العالم إلا وهو في كتاب الله فقيل له فأين ذكر الخانات ؟ ٠٠٠٠ فقال في قوله -تعالى- ﴿ لَّيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَاعٌ لَّكُمْ ۚ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ ﴿٢٩﴾ ﴾ (٢)

إلي غير ذلك من الإشارات التي يمن الله -عز وجل- بها علي العلماء المخلصين والأذكياء النابهين الذين فتح الله لهم أبواب العلماء وميادين الفهم لخدمة كتابه العزيز وسنة نبيه الكريم -ﷺ- ٠

أهم المؤلفات في الإعجاز القرآني

نال الإعجاز القرآني اهتماما كبيرا على مر العصور وتوالي الأيام وكان كل جيل يسهم بقدر ما من المؤلفات التي تساهم في تجلية مظهر من مظاهر الإعجاز وقد تناول العلماء الإعجاز في القرآن بألوان شتى : منها الإعجاز البياني ، البلاغي ، والتشريعي ، ومنها أخيرا الإعجاز العلمي الذي يظن البعض أن من الموضوعات الحديثة في القرآن ٠

ولكن الحقيقة أن الإعجاز العلمي موجود مع العلماء وفي تفاسيرهم وكتبهم ومثال ذلك : ما ذكر الإمام الرازي المتوفى سنة ٦٠٤هـ في تفسيره " مفاتيح الغيب" والإشارات العلمية التي ذكرها أو أشار إليها وغيره من المفسرين ٠

ولنذكر طرفا من أهم المؤلفات التي تناولت الإعجاز – وهذا على سبيل المثال – وليس الحصر فنقول وبالله التوفيق :

لما كثر الكلام في مسائل الإعجاز القرآني في مجالس العلم قام فريق من العلماء بتدوين ما كان يقال وما يثار في كتب ورسائل خاصة ٠

(١) الإتقان : ٢/ ١٢٦ ٠
(٢)النور: ٢٩ ٠

وينقل لنا الدكتور / أحمد صيرة عن الأستاذ مصطفى صادق الرافعي الدوافع إلى تلك الكتابة :

١- انتشار مقالة بعض المعتزلة بأن فصاحة القرآن غير معجزة ٠

٢- خوف العلماء أن يلتبس ذلك على العامة بالتقليد أو العادة ٠

فصنف الإمام الجاحظ المتوفى سنة ٢٥٥هـ كتابه " نظم القرآن " وهو يعتبر أول كتاب أفرد لبعض القول في الإعجاز ٠

وجاء من بعده أبو عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري فرد على المطاعن الموجهة إلى القرآن ونقضها في كتابه الجليل " تأويل مشكل القرآن " ٠

ثم نجد أول كتاب وضع لشرح الإعجاز وبسط القول فيه هو" إعجاز القرآن " لأبي عبد الله بن محمد بن يزيد الواسطي المتوفى سنة ٣٠٦هـ وقد شرحه الإمام عبد القاهر الجرجاني سماه " المعتضد " ٠

وجاء أبو بكر عبد الله بن أبي داوود السجستاني المتوفى سنة ٣١٦هـ فكتب كتابه " نظم القرآن " وسار فيه على طريق الإمام الجاحظ ٠

وجاء أبو زيد البلخي أحمد بن سليمان المتوفى سنة ٣٢٢هـ وكتب " نظم القرآن " تكلم في القرآن بكلام لطيف وأخرج سرائره وبعض إعجازه ٠[١]

- وأسهم أبو بكر أحمد بن على المعروف بابن الإخشيد المعتزلي سنة ٣٢٦هـ فألف كتابه " نظم القرآن " ٠
- وإعجاز القرآن للرماني وهو أبو الحسن على بن عيسى الرماني المعتزلي المتوفى سنة ٣٨٤هـ المعروف بالإخشيد وهو كتاب نفيس في مجاله ٠
- ثم طل علينا الإمام أبو بكر محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر بن القاسم المعروف بالباقلاني المتوفى سنة ٤٠٣هـ بكتابه " إعجاز القرآن " وهو أعظم كتاب ألف في

(١) الجواهر الحسان في علوم القرآن – أحمد صيرة – ص٦٠ ٠

الإعجاز إلى اليوم بشهادة معظم العلماء ، وطبع عدة مرات ، آخرها طبعة دار المعارف بالقاهرة سنة ١٩٥٤م بتحقيق الأستاذ / السيد أحمد صقر ، قال الإمام ابن العربي : لم يصنف مثله ٠

- وكتاب الخطابي المسمى " إعجاز القرآن " لأبي إسماعيل أحمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البستي (٣١٩ – ٣٨٨هـ) طبع في دار المعارف – بتحقيق الدكتور/ محمد خلف الله ، والأستاذ محمد زغلول سلام ٠

إلى غير ذلك من العلماء الذين كانت لهم إسهامات بالغة أيضا ومنهم :

١ – الإمام فخر الدين الرازي المتوفى سنة ٦٠٤هـ ضمن تفسيره " مفاتيح الغيب " ٠

٢ – الأديب الكبير ابن أبي الأصبع المتوفى سنة ٦٥٤هـ ٠

٣– وكمال الدين بن محمد بن على بن عبد الواحد المتوفى سنة ٧٢٧هـ في كتابه " البرهان في إعجاز القرآن " ٠

ثم استمر الزمان حتى جاء العصر الحديث فكتب كثير من علماء الطب والكيمياء والطبيعة والفلك والحيوان والزراعة في الإشارات العلمية الموجودة في القرآن الكريم ، وكان ذلك بمثابة الصد والدفاع عن القرآن في مواجهة الدعوات الإلحادية والشبهات التي تثار تجاه القرآن نتيجة المد العلماني الغربي والشرقي وإثارة بعض الشبهات من بعض أبناء المسلمين نتيجة التعليم الاستشراقي في بدايات القرن العشرين بعد إنشاء الجامعة الأمريكية في القاهرة وبيروت وإنشاء جامعة الملك فؤاد الأول التي سميت جامعة القاهرة بعد ذلك وتولى التدريس فيها بعض المستشرقين من فرنسا وانجلترا وألمانيا وإنشاء كراسي للدراسات الإسلامية في بعض الجامعات في بلاد الغرب مثل السربون وكمبردج ولندن وبرلين وغيرها ، واستقطاب بعض أبناء المسلمين للدراسة فيها وتوجيههم للتشكيك في عقيدة بني جلدتهم من المسلمين٠

فتصدى بعض العلماء وكتبوا في ذلك ومنهم الأستاذ الدكتور / محمد أحمد الغمراوي صاحب كتاب " الإسلام في عصر العلم " بالإضافة إلى كتبه الأخرى ٠

ومنهم الأستاذ الدكتور / محمد على البار ودوره في كتابات الإعجاز العلمي ٠

ومنهم الأستاذ الدكتور / أحمد فؤاد باشا نائب رئيس جامعة القاهرة وإسهاماته في ذلك ٠

ومنهم الأستاذ الدكتور / رفعت ألعوضي أستاذ الاقتصاد الإسلامي بجامعة الأزهر ٠

ومنهم الأستاذ المفسر الجليل / جوهري طنطاوي صاحب تفسير الجواهر الذي جمع فيه كثير من الحقائق العلمية فكان من أعظم التفاسير التي أبرزت الجانب الإعجازي في القرآن الكريم ٠

ومنهم الشيخ الإمام / محمد متولي الشعراوي في كتابه معجزة القرآن والذي رد وفند وأبطل شبهات بعض المستشرقين حول القرآن الكريم ٠

وقد حاز الشعراوي مكانة في قلوب الناس نتيجة الظهور التليفزيوني واستخدام بعض وسائل التكنولوجيا ٠

ولا ننسى أن نذكر بعض أعلام الفكر الإسلامي وخاصة في القرن العشرين ، ومنهم:

١- الأستاذ/ محمد فريد وجدي الذي ألف " دائرة معارف القرن العشرين " وأرجح الأستاذ محمد فريد وجدي التأثير القرآني لشيء واحد وهو " أنه روح من عند الله " وإن كانت روح القرآن من عند الله فلا يمكن أن تماثلها روح أخرى – وهذا في نظره – هو السبب في انقطاع الإنس والجن عن محاكاته ، فجعل الأستاذ الكبير والباحث العظيم "وجدي" روحانية القرآن هي سر إعجازه إضافة إلى روعة التأثير المنفرد بجاذبيته عن كل تأثير بشري ٠

٢- مصطفى صادق الرافعي / فهو أول من أخرج كتابا مستقلا في الإعجاز القرآني من المعاصرين منذ السيوطي لم يكتب كتابا في إعجاز القرآن وذكر الرافعي أن أول صور الإعجاز عنده : ما كتبه تحت عنوان (آداب القرآن) إذ جعل الأخلاق القرآنية والمسائل التشريعية والتربية السلوكية إحدى وجوه الإعجاز وذكر أن التكرار مألوف عند العرب ، ولكنه في النسق القرآني غير مألوف إذ أن المعنى

يتردد بصور كل صورة منها غير الأخرى وهم عاجزون عن محاكاة الصورة الواحدة فما بالهم بالصور المتعددة ، وجعل الإعجاز في الأسلوب القرآني من جهة النظم وهي : الحروف ، والكلمات ، والجمل ٠[١]

يقول دكتور / محمد رجب البيومي :

وقد باهى الرافعي بما اهتدى إليه ، ولم يلتفت ناقدوه إلى ما اختاره من أمثلة لم تكن من مختارات سابقيه ، مما يجعلني أؤكد أن كتاب الرافعي هو الثاني في بابه بعد كتاب "دلائل الإعجاز" لأن الكتابين اجتمعا في خاصية واحدة لم يشركهما فيهما مشارك وهي (روعة البيان وتدفق التحليل) ٠

ومنهم أ / عبد الله عفيفي كان من كبار أدباء عصره وألقى محاضرات على طلاب كلية الشريعة تحت عنوان (زهرات منثورة) تعرض فيها للحديث عن الإعجاز القرآني وذكر أن للقرآن أوجها كثيرة للإعجاز في مقدمتها:

١- هذه القوة الروحية التي تسيطر على المشاعر وتأخذ بالألباب ٠

٢- الأسلوب الخطابي الذي يعتمد على التأثير في النفس باللفظ الفخم والقول المردد ولكنهم لم يكونوا يعرفون عن كثير من الأسلوب المنطقي الذي ينتقل من المقدمات إلى النتائج وينتقل من المعلوم إلى المجهول ، أما الأسلوب العلمي الذي تساق فيه الحقائق العلمية من أيسر الطرق وأقرب الموارد فذلك لم يكونوا منه في شيء ، فجاء القرآن ليواجههم بالأسلوب المنطقي والأسلوب العلمي معا في سلاسل مفرغة الحلقات ، محكمة الصوغ لا وهي بها ، ولا انقطاع لها فوقفهم بذلك بين شعاب متشابكة لا يستطيعون النفاذ إلى مكنونها [٢] ٠

****

(١) الموسوعة القرآنية المتخصصة ، ص ٦٧٦ – ٦٨٠ بتصرف كبير ٠

(٢) الموسوعة القرآنية المتخصصة – ص٦٨١ – ٦٨٢ ٠

الفصل الثاني
الإعجاز العلمي في القرآن
عالم الإنسان

من الإعجاز العلمي في ناصية الإنسان (الجبهة الأمامية للرأس) ٠

قال -تعالى- ﴿ نَاصِيَةٍ كَٰذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ﴿١٦﴾ ﴾ [1] ٠

ما هي الناصية ولماذا هي كاذبة ؟

المعلومة رائعة سبحان الله ٠٠٠٠٠٠٠

يقول الشيخ / عبد المجيد الزنداني بخصوص سورة العلق كنت أقرأ دائما قول الله -تعالى- ﴿ كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًۢا بِٱلنَّاصِيَةِ ﴿١٥﴾ نَاصِيَةٍ كَٰذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ﴿١٦﴾ ﴾ ، والناصية هي: مقدمة الرأس وكنت أسأل نفسي وأقول يارب اكشف لي هذا المعني ٠٠٠ لماذا قلت ناصية كاذبة خاطئة ؟ وتفكرت فيها وبقيت أكثر من عشر سنوات وأنا في حيرة أرجع إلي كتب التفسير فأجد المفسرين يقولون :

المراد ليس ناصية كاذبة وإنما المراد معني مجازي وليس حقيقيا فالناصية هي مقدمة الرأس لذلك أطلق عليها صفة الكذب (في حين أن المقصود صاحبها) واستمرت لدي الحيرة إلي أن يسر الله لي بحثا عن الناصية قدمه (عالم كندي) وكان ذلك في مؤتمر طبي عقد في (القاهرة) قال فيه : منذ خمسين سنة فقط تأكد لنا أن جزء المخ الذي تحت الجبهة مباشرة (الناصية) هو المسئول عن الكذب والخطأ وأن مصدر اتخاذ القرارات فلو قطع هذا الجزء من المخ الذي يقع تحت العظم مباشرة فإن صاحبه لا تكون له إرادة مستقلة ولا يستطيع أن يختار ولأنها مكان الإختيار٠

قال الله -تعالى- ﴿ لَنَسْفَعًۢا بِٱلنَّاصِيَةِ ﴾ أي: نأخذه ونحرقه بجريرته (بفعلته) وبعد أن تقدم العلم أشواطا وجدوا أن هذا الجزء من الناصية في الحيوانات ضعيف وصغير بحيث لا يملك القدرة على قيادتها وتوجيهها وإلي هذا يشير المولى -سبحانه

(١) سورة العلق (١٦) .

وتعالى- ﴿مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذُۢ بِنَاصِيَتِهَآ﴾ ، وجاء في الحديث الشريف : قول الرسول -ﷺ- : (اللهم إني عبدك وابن عبدك وابن أمتك ناصيتي بيدك) ٠٠٠ الحديث ٠

ولحكمة إلهية : شرع الله أن تسجد هذه الناصية وأن تطأطئ له فتخرج الشحنات السالبة من الرأس إلي الأرض ويصل الدم إلي أجزاء الدماغ فيغذيها بالشحنات الموجبة التي يحتاجها ، ولأن في الدماغ شعيرات دموية لا يصل إليها الدم إلا بالسجود ٠

وهذه من حكمة الله -تعالى- (وما أوتيتم من العلم إلا قليلا) ٠

يعني أننا لابد أن نكثر من السجود لتكون قراراتنا سليمة ، وأسلمها أننا نعبد الله الواحد الأحد فيزداد إيماننا بالله -تعالى- ٠

وعند الإقدام على أمر فلنستخير بصلاة الاستخارة يعني نسجد بناصيتنا لله -تعالى- ليستخير لنا الرأي السليم والقرار الصائب ٠

اللهم ثبنا جميعا ، واجعل نواصينا صادقة متوجهة لكل خير ٠

" من الإعجاز العلمي في الإنسان "

إن دلائل قدرة الله -تعالى- في خلق الإنسان ما اكتشفه العلم الحديث وهو أن إطالة السجود يقوي "الذاكرة" ويمنع من "الجلطة الدماغية " سبحان الله ولذلك نرى الله – عز وجل – يقول للنبي -ﷺ- في خواتيم صورة الشرح قال -تعالى- : ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴿١﴾ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِىٓ أَنقَضَ ظَهْرَكَ ﴿٣﴾ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴿٤﴾ فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٥﴾ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٦﴾ فَإِذَا فَرَغْتَ فَٱنصَبْ ﴿٧﴾ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرْغَب ﴿٨﴾ (١) ٠

في الآية تنبيه على أن بعد العسر يسرا وبعد التعب راحة وبعد المشقة سعادة فبعد هذا التبشير الجميل باليسر بعد العسر يطلب الله من نبيه أن يقوم بعمل إيماني ليستعيد نشاطه ويبدأ مرحلة جديدة من مراحل الجد والع قَالَ تَعَالَىٰ: أَعُوذُ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ

(١)الشرح: ١ – ٨ ٠

ٱلرَّحِيمِ ﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴿١﴾ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِىٓ أَنقَضَ ظَهْرَكَ ﴿٣﴾ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴿٤﴾ فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٥﴾ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٦﴾ فَإِذَا فَرَغْتَ فَٱنصَبْ ﴿٧﴾ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرْغَب ﴿٨﴾ ﴾
الشرح: ١ - ٨

وهذا طلب من الله للعبد أن يطيل الصلاة ومنها السجود فيعيد شحن الذاكرة بدماء جديدة تبعث النشاط والحيوية بعد استنفاذ الدم في مراحل التفكير السابق ، وأعتقد أن هذا جانب من جوانب الإعجاز العلمي في القرآن الكريم وخاصة بالإنسان المسلم وتأثير العبادات فيه ٠

وإلي مظهر آخر من مظاهر إعجاز القرآن في الحديث عن الرأس كما جاء في حديث رسول الله -ﷺ- في الحياء حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ مُوسَى حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عُبَيْدٍ عَنْ أَبَانَ بْنِ إِسْحَقَ عَنْ الصَّبَّاحِ بْنِ مُحَمَّدٍ عَنْ مُرَّةَ الْهَمْدَانِيِّ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ – ﷺ– اسْتَحْيُوا مِنْ اللَّهِ حَقَّ الْحَيَاءِ قَالَ قُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّا نَسْتَحْيِي وَالْحَمْدُ للَّهِ قَالَ لَيْسَ ذَاكَ وَلَكِنَّ الِاسْتِحْيَاءَ مِنْ اللَّهِ حَقَّ الْحَيَاءِ أَنْ تَحْفَظَ الرَّأْسَ وَمَا وَعَى وَالْبَطْنَ وَمَا حَوَى وَلْتَذْكُرْ الْمَوْتَ وَالْبِلَى وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ تَرَكَ زِينَةَ الدُّنْيَا فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ فَقَدْ اسْتَحْيَا مِنْ اللَّهِ حَقَّ الْحَيَاءِ قَالَ أَبُو عِيسَى هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ إِنَّمَا نَعْرِفُهُ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ مِنْ حَدِيثِ أَبَانَ بْنِ إِسْحَقَ عَنْ الصَّبَّاحِ بْنِ مُحَمَّدٍ (١) ٠

فنرى العلم الحديث يثبت أن في الرأس أربعة سوائل :

١ – ماء عذب في الفم : يسوغ به الطعام والشراب (اللعاب) ٠

٢ – ماء مالح في العينين : يمنعها من اليبس والجفاف ٠

٣– ماء لزج في الأنف : يمنع دخول الغبار (المخاط) ٠

٤ – ماء مر في الأذنين : يحميها من دخول الحشرات (الشمع) ٠

قال –تعالى– : ﴿ وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ (٢) ٠

(١)سنن الترمذي ورقم الحديث ٢٣٨٢ ، ج٨ / ص٤٩٨ ٠

(٢) الذاريات: ٢١ ٠

العظام ، والإعجاز العلمي الطبي

يقول علماء الطب : أن عظم الفخذ له عنق وهذا العنق يتحمل من قوى الضغط مايزيد عن مائتين وخمسين كيلو جراما ٠

أي أن الإنسان بعظمي الفخذ ولا سيما عنق الفخذ الموصول بالحوض يتحمل ضغطا يقارب الخمسمائة كيلو جرام ، وهذا القسم من العظم يعد أمتن قسم في الجهاز العظمي في الإنسان ٠٠

تصميم من هذا ؟ إنه الله جل وعلا ٠

وعنق عظم الفخذ هو بروز عظمي هرمي الشكل ومسطح ويربط بين أس الفخذ وجسم عظم الفخذ ، ويشكل مع جسم عظم الفخذ زاوية منفرجة تنفتح باتجاه وسطي إلي داخل الجسم medialward وعنق عظم الفخذ مفلطح من الخلف ، ومنكمش في الوسط ٠

قال -تعالى- ﴿ وَٱنظُرْ إِلَى ٱلْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا ۚ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٥٩﴾ ﴾ (١) ٠

ننشزها : أي نجعلها على شكل شوكيات متداخلة حيث تكون متينة جدا وقاسية جدا ٠

تصور لو أن هذا العظم ينمو عشوائيا لتعلق الإنسان من أسماء الله - عز وجل- (الباسط القابض) ٠

هل هناك هرمونات تنظم نمو العظام ؟ وتنظم إيقافه عند حد معين ؟

لقد تبين أن الجنين في بطن أمه ينشأ من بويضة ملقحة بالنطفة المذكرة وبعد عدة أسابيع من النمو يبدأ العظم بالتشكل ثم يغلف هذا العظم باللحم تدريجيا ٠

(١) البقرة: ٢٥٩٠

ومع أن العملية معقدة جدا إلا أنه لا يمكن للحم التشكل قبل العظم ، والآية الكريمة تعني أن العظام تخلق أولا ثم تكسى باللحم والعضلات ، ولو سألنا أي طبيب اليوم سيقول إن عظام الجنين تخلق قبل عضلاته ٠

ولذلك قال العلماء من أهل الطب :

إن العظام في مجملها مركبة من مادة أساسية هي الكالسيوم ولكن توزيع هذه المادة مع متمماتها على شكل آخر :

٨٥ ٪ من العظام كالسيوم الفوسفات

١٠٪ كالسيوم الكربونات

ثلاثة بالألف كالسيوم الكلوريد

اثنان بالألف كالسيوم الفلوريد

وواحد بنصف بالمائة فوسفات الماغنسيوم ٠

هذه نسب الكالسيوم مع المتممات في العظام و ٩٩ ٪ من الكالسيوم موضوع في العظام ٠

ولا يتم امتصاص الكالسيوم من الأمعاء إلا بوجود هرمون تفرزه غدة صغيرة جدا توجد إلى جانب الغدة الدرقية ، فلو تعطلت هذه الغدة الصغيرة واسمها (جوار الغدة الدرقية) لما أمكن امتصاص الكالسيوم من أمعاء المخلوق ويحتاج وجود الكالسيوم في العظام إلي فيتامين (د) فإذا لم يتوفر هذا الفيتامين أصيب الطفل بهشاشة في عظامه أو بلين في عظامه ٠

قال -تعالى- (وفي أنفسكم أفلا تبصرون)

إننا عند التفكر في أنفسنا سنرى آيات الله -تعالى- في كل شيء ابتداء من الخلية وانتهاء بكل أجهزة الجسم المختلفة ، هذه الخلايا يجمعها الله مع بعضها البعض لتؤدي وظيفة النسيج ويضم النسيج إلى نسيج آخر بجواره بإذن الله -تعالى- لإنشاء عضو من الأعضاء في جزء من أجسامنا ، وجعل الله لتلك الأنسجة أشكالا خاصة

ومواد خاصة وأماكن خاصة لتؤدى الوظيفة التي قدرها الله -تعالى- لها ، وتجتمع تلك الوظائف لتلك الأعضاء لتؤدي وظيفة أكبر هي وجود كامل لكيان الإنسان على هذه الأرض ٠

ولو أخذنا عظام الجمجمة مثلا :

نجد أن الخالق -عز وجل - قد جعل الجمجمة حفظا لأجزاء أخرى غير المخ ، فقد حفظ بها الأذن ، حيث نشاهد قناة الأذن غير مستقيمة ، وهذا يمنع دخول أي جسم حاد لصد عظام الجمجمة له ، فتلك آية تدل كما تدل الآيات الكثيرة على أن الخالق عليم بالأجزاء الضعيفة في الجسم فحفظها بالهيكل العظمي القوي ، فسبحان الحفيظ العليم الرحيم ٠

ولما كانت الجمجمة في أعلى الجسم فقد ركبها الله بطريقة تحقق فيها الخفة في الوزن بالرغم من قوتها وصلابتها فجعل لها تجاويف كثيرة ونسيجا عظميا مناسبا يحقق تلك القوة والخفة في الوزن معا ، فسبحان العليم الخبير ٠

ولما كان المخ هو مركز القيادة لسائر أجزاء البدن ، ولابد ان يتصل بتلك الأجزاء للإرسال والتلقي فقد جعل الخالق العليم فتحات مناسبة عديدة في قاع الجمجمة تسمح بمرور الأعصاب والأوعية الدموية ، وأكبر هذه الفتحات هي التي يمر بها النخاع الشوكي من الجمجمة إلى العمود الفقري ٠

ولهذه الأسرار وغيرها حكم عظيمة لم تعرف إلا بعد تقدم الطب ومنها :

أن حجم جمجمة الطفل يكون أكبر من فتحة عظم حوض الأم التي يخرج منه الطفل بعد الولادة ، فمن آثار رحمة الله اللطيف الخبير أن تكون جمجمة الطفل لينة ، وعظامها غير ملتحمة لكي يحصل تغيير في حجم الرأس وشكله ، فيساعد ذلك على خروج الطفل ، كما أن جزءا من مفاصل حوض الأم تتحرك إلى الخلف بفعل إنزيم خاص يفرز فتتم عملية الولادة بسهولة ويسر ، وإلا امتنع خروج الطفل أثناء الولادة فانظر إلى ألطاف الله الحكيم الخبير القائل ﴿ ثُمَّ ٱلسَّبِيلَ يَسَّرَهُۥ ﴿٢٠﴾ ﴾ [1] .

قال الشنقيطي ٨/ ٤٣٤ : قيل " السبيل " إلى خروجه من بطن أمه حيث أدار رأسه إلى جهة الخروج بدلا مما كان عليه إلى أعلى وهذا من التيسير في سبيل خروجه وهذا مروي عن ابن عباس وغيره ، وهو اختيار بن جرير ، وهو أيضا ما جاء في أيسر التفاسير للجزائري ٤/ ٣٦٦ .

وتعريف " السبيل " بالألف واللام للإشعار بالعموم البحر المديد ٧/ ١٠ .

وأخرج السيوطي عن بن عباس ، وعكرمة ، وقتادة ، والضحاك ، وعن أبي صالح ، وعن مجاهد مثله .

(خلق عيسي وحديث مريم ودعوة زكريا علهم الصلاة والسلام ووهن العظم والإعجاز العلمي فيه)

وقدرة الحق تتجلى أيضاً أمامنا حينما تكون الأسباب موجودة كالأب والأم . لكن يشاء سبحانه أن يكون الاثنان عقيمين فهو القائل : { للَّهِ مُلْكُ السماوات والأرض يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَاثاً وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ الذكور * أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَاناً وَإِنَاثاً وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ }إذن فليست المسألة مدار أسباب تُوجَد ، بل مسَبِّبِ

(١) عبس: ٢٠ .

يريد أن يُوجِد ، وأراد الحق أن يكون مجيء عيسى عليه السلام بهذه الصورة ليلفت بني إسرائيل لعلهم يخرجون من ضلالات المادية ، فأوجده من أم دون أب ، فكان هذا آية على طلاقة قدرته ، ولكن اليهود استقبلوا هذه المسألة استقبالاً على غير مراد الله ، فكذبوا عيسى ، وقد حدث التكذيب من قبل أن يتكلم عيسى بالانجيل . ووقفوا أمام رسالته بعنف ، والذي يدلنا على أنهم قوم كذابون ، هو رغبتهم في استمرار السيطرة الدينية لهم ، وكان عندهم شريعة تقتضي الرجم للزانية ، فلماذا إذن لم يتهموا مريم بالزنا عندما ولدت عيسى؟ ولماذا لم يعاقبوها حسب سريعة التوراة؟ ولماذا انتظروا إلى أن يجيء عيسى عليه السلام بالإنجيل ليقولوا : يا فاعل يا ابن الفاعلة . كان انتظارهم دليلاً على أن ميلاد عيسى عليه السلام كان آية بينة صدعتهم وصدتهم عن ذلك ، فقد نطق عيسى عليه السلام بعد ميلاده ولم تتكلم مريم قطّ؛ لأن ما حدث أمر فوق منطقها ، وجهزها الله لهذا الموقف؟ ، وأمرها بالصمت عندما يسألونها ، وأن تشير إلى المولود الذي في المهد : { فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُواْ كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي المهد صَبِيّاً * قَالَ إِنِّي عَبْدُ الله آتَانِيَ الكتاب وَجَعَلَنِي نَبِيّاً * وَجَعَلَنِي مُبَارَكاً أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَانِي بالصلاة والزكاة مَا دُمْتُ حَيّاً } [مريم : ٢٩-٣١]

وانبهروا انبهاراً فتت فيهم القوى ، فقوى الخصومة ساعة ترى هذا لا تجد إلا الانهيار ، فألحق أبلج ، والباطل لجلج . إذن كان الأمر بيدهم وفي توراتهم أن من يزن يرجم ، فلماذا لم يرجموا أم عيسى إذن؟ . لا بد أنهم صدموا بقوة جعلت موازين حقدهم تختل ، المعجزة الباهرة هي كلام عيسى ابن مريم في المهد : { إِنِّي عَبْدُ الله آتَانِيَ الكتاب وَجَعَلَنِي نَبِيّاً } وجعلت المفاجأة أقوى الأقوياء فيهم ينهار ، وتخور قواه .

وعندما نقول هذا الكلام فليس الهدف منه تصحيح عقائد أحد ، ولكننا فقط نريد أن يتضح منطق الإيمان في عقول المسلمين ، أما أبناء الديانات الأخرى فهم

أحرار فيما يعتقدون ، والمهم بالنسبة لنا أن يكون ديننا وقرآننا متضحاً أمام أعيننا ، ولا يجرؤ أحد أن يميل به .

{ وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ على مَرْيَمَ بُهْتَاناً عَظِيماً } ونحن كمسلمين نستنكف أن نقول ما قالوه من بهتان على مريم البتول ، والبهتان هو الكذب الشرس . فهناك لون من الكذب قد يكون مقبولاً ، ولون من الكذب غير مقبول : فأن يقول قائل عن رجل ورع : إنه شرب الخمر ، والقائل يعلم أنه كاذب ، فهذا كذب ثقيل شرس ، يتحير ويتعجب من يسمعه؛ وهذا هو البهتان . ولم يستح ويمتنع اليهود حينما رموا مريم – الطاهرة بأمر الله – بالبهتان مع أنهم علموا أن لمريم سابقة خيرواستقامة .

لقد كان ماضي مريم ناصعاً؛ لأنه جرح مريم في عرضها ، ولو رجعوا إلى تاريخهم قبل ميلاد عيسى من مريم لوجدوا أن كل واحدة من بنات بني إسرائيل كانت تستشرف أن يكون النبي المولود بعد موسى من بطنها . وكانوا يعرفون أن النبي القادم من بعد موسى ستلده عذراء ، وأبلغ بنو إسرائيل بناتهم بكيفية مجيء النبي القادم عيسى ابن مريم ، تماماً مثل قضية البشارة برسول الله محمد صلى الله عليه وسلم: { فَلَمَّا جَآءَهُمْ مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِ فَلَعْنَةُ الله عَلَى الكافرين } [البقرة : ٨٩]

ومن رحمة الله بمريم نفسها أن الله جعل لها التمهيدات التي تثبت لها أمام نفسها أنها بريئة ، وأن العملية كلها قد تمت ب « كن » من الله ، ولم يجعل الله المسألة سرّاً عن مريم فتحمل بأمر قوله : « كن » دون أن تدري ، لا . بل أراد سبحانه أن تكون عملية مادية . وجاء الملك لمريم ونفخ فيها بالحمل . وعرفت هي السبب مادياً بالملك والنفخ حتى لا تتهم أو تشك بأن شيئاً قد حدث لها وهي نائمة أو غير ذلك .

لقد أراد الله المسألة على تلك الصورة ليجعلها أمراً يقطع الشك لديها ، وهي التي بُشرت به – إيناساً لها – عندما كانت صغيرة قبل البلوغ وجاءها زكريا وهو الكفيل لها والذي يأتيها بالطعام ودخل عليها المحراب فوجد عندها الرزق وسألها :

{ أنى لَكِ هذا } أجابت : { هُوَ مِنْ عِندِ الله إِنَّ الله يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ } [آل عمران : ٣٧]

لقد نطقت مريم البتول من قبل : { إِنَّ الله يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ } ومن الحساب أن يكون للمرأة زوج لترزق بالولد ، ولكن الله يرزق من يشاء بغير حساب . ومن العجيب أنها في هذا القول نبهت زكريا إلى قضية كانت في بؤرة شعوره؛ ولذلك يقول الحق : { هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدعآء * فَنَادَتْهُ الملائكة وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي المحراب أَنَّ اللهَّ يُبَشِّرُكَ بيحيى مُصَدِّقاً بِكَلِمَةٍ مِّنَ الله وَسَيِّداً وَحَصُوراً وَنَبِيّاً مِّنَ الصالحين * قَالَ رَبِّ أنى يَكُونُ لِي غُلاَمٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الكبر وامرأتي عَاقِرٌ قَالَ كَذَلِكَ الله يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ } [آل عمران : ٣٨-٤٠]

إذن فقد شجعت مريم زكريا على أن يدعو ربه ، وتلك سلسلة تمهيدية ليطمئن إحساس مريم أن ولادتها لعيسى عليه السلام إنما جاءت ب « كن » وجاء لها الحق بفاكهة الصيف في الشتاء ، وعندما قالت لسيدنا زكريا : { إِنَّ الله يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ } تنبه ودخل من هذا الباب ، فدعا ربه على الرغم من علمه أن امرأته عاقر ، وأنه بلغ من الكبر عتياً ، ومفهوم لنا معنى قول الرجل عن نفسه إنه بلغ من الكبر عتيا؛ أي أنه لم يعد يملك القدرة على الإنجاب .

وهذه القضية تعطينا سبقاً قرآنيا لكثير من قضايا العلم : { قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ العظم مِنِّي واشتعل الرأس شَيْباً } [مريم : ٤]

هذا القول هو أشبه بمذكرة تفسيرية لبلوغه من الكبر عتيا . ويثبت العلم الحديث أن العظام هي آخر وعاء لتغذية الإنسان ، فإن امتنع الإنسان عن الطعام فالدهون التي في جسده تغذية . وإن امتنع الماء عن الإنسان وهو المكوِّن لتسعين في المائة من وزنه يمتص الإنسان الماء من خلايا الجسم والعضلات واللحم . ولذلك يقال في المثل العربي : سنة اذابت الشحم ، وسنة أفنت اللحم ، وسنة محت العظم .

فكأن البداية تكون التغذية من الشحم ومن بعد ذلك من اللحم ومن بعد الشحم واللحم يأخذ الجسم غذاءه من العظم . وهذه هي التي جاءت على لسان سيدنا زكريا : { قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ العظم مِنِّي } . فآخر مخزن للتغذية لم يعد به ما يمكن أن يستمد منه زكريا طاقة الإنجاب .

وما الذي يغذيه العظم من الجسم؟ إنه يغذي المخ ، وهو السيد الأعلى الذي يدير كل جارحة في الجسم ، وتعمل كل جارحة في خدمته ، ويعيش المخ بطبيعة الحال كل عمره في خدمة الجوارح ، يرتب لها قدرات العمل والتفكير والإحساس والسلوك ، وما دام المخ موجوداً ، فكل شيء يتم تعويضه .

ولذلك يحاولون – الآن – تعريف الموت طبياً ، فيقولون : لا يحدث الموت مادامت خلايا المخ حية؛ فإذا ماتت خلايا المخ فهذا هو الموت . ومن عجيب الأمر أن سيد الإنسان له مكان في أعلى الجسم إنه هو المخ ، داخل الجمجمة ، أما النبات فسيده في الجذور . وإن لم تجد الجذور مياها تذيب بها العناصر في الأرض فالنبات يأخذ غذاءه من الورق ، وبعد أن يذبل الورق يأخذ النبات غذاءه من الفروع الصغيرة . وعندما تذبل تلك القروع وتجف ولا ينقذ النبات إلا مجيء بعض الماء للجذور . وكذلك المخ بالنسبة للإنسان .

فكأن مريم شجعت سيدنا زكريا عندما قالت أمامه : { إِنَّ الله يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ } فدعا سيدنا زكريا الله أن يرزقه بالولد ، فجاءه الولد . وهذه القضية نطقت بها مريم وتمت تجربتها في سيدنا زكريا . وبعد ذلك جاءها البشير بميلاد المسيح عيسى ابن مريم : { إِذْ قَالَتِ الملائكة يامريم إِنَّ الله يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسمه المسيح عِيسَى ابن مَرْيَمَ وَجِيهاً فِي الدنيا والآخرة وَمِنَ المقربين * وَيُكَلِّمُ الناس فِي المهد وَكَهْلاً وَمِنَ الصالحين } [آل عمران : ٤٥-٤٦]

كيف يصوغ القرآن هذه الصياغة ، وكيف تقول هي : { قَالَتْ رَبِّ أنى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ } [آل عمران : ٤٧]

لقد كانت سيدتنا مريم البتول تحسن الاستقبال عن الله ، فساعة سمعت أن اسمه المسيح عيسى ابن مريم ، عرفت أن نسبه لها يعني أنه بلا أب . وعرفت أن الحق سبحانه ما نسبه إليها إلا لأنه لا أب له .

(تفسير الشعراوي ١/ ١٩٢٩ سورة النساء الآية ١٥٦)

قصة النوم في القرآن ، والإعجاز العلمي فيها وإسلام "آرثرآليسون"

أشهر عالم في الكهربائية والالكترونية بسبب آية في كتاب الله ، لقد انشغل العالم البريطاني الشهير(آرثراليسون) رئيس قسم الهندسة الكهربائية والالكترونية بجامعة " لندن " بالطاقة الموجودة داخل الإنسان وهو حي وهو ميت إلي أن وجد أن الإنسان الميت يفقد شيئا عندما يموت فيقل وزنه ، ولكنه لم يعلم ما هو هذا الشيء الذي يفقده كل إنسان من وزنه عند الموت ٠

حضر آرثراليسون إلي القاهرة في المؤتمر العلمي الإسلامي ولم يكن وقتها مسلما أتي فقط لعله يجد إجابة من الحاضرين لأن الموضوع يتعلق بالطب النفسي والروحاني الذي تهتم به الأديان ٠

وقد جاء طالب مصري كان يدرس تحت إشرافه وقال له ألا أدلك على طريقة أسهل من ذلك ؟ فقال العالم (آليسون)ما هي ؟ قال زن بأجهزة قياس الطاقة ، الطاقة التي في جسم الإنسان وهو يقظ ثم وهو نائم فتعجب العالم ، وقال : فما العلاقة بين اليقظة والنوم ؟ فقال له الطالب : عندنا في اللغة العربية كلمة الوفاة تطلق على النائم والميت فهما سواء ، والفرق في الطاقة بين الميت والحي تماما مثل الفرق بين النائم والمستيقظ وهذا الفرق هو نتيجة أن كلا من الميت والنائم تخرج منهما الروح فبدأ

العالم قياساته فوجد أن النائم يفقد قدرا من الطاقة تساوى تقريبا ما يفقده الميت ، وعرف أن هذا النقص في كلتا الحالتين ناتج عن خروج الروح ٠

فذهب مسرعا إلي الطالب المصري وسأله من المعروف أن الإنسان عندما يموت يفقد الروح ولكن كيف عرف أن الروح تخرج أيضا عند النوم ؟

فقال الطالب : آية من القرآن الكريم قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا ۖ فَيُمْسِكُ ٱلَّتِى قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ ﴾ (١) ٠

والغريب في الأمر انه لم يكن وقتئذ قد اعتنق الإسلام بعد ، وإنما كانت مشاعره تجاهه لا تتعدى الإعجاب به كدين ٠

وبعد أن ألقى بحثه جلس يشارك في أعمال المؤتمر ويستمع إلي باقي البحوث التي تناولت الإعجاز العلمي في القرآن الكريم فتملكه الانبهار وقد ازداد يقينه بأن هذا هو الدين الحق ، فكل ما يسمعه عن الإسلام يدل على أنه دين العلم ودين العقل ٠

لقد رأي هذا الحشد الهائل من الحقائق القرآنية والنبوية ، والتي تتكلم عن المخلوقات والكائنات ، فأدرك أن هذا لا يمكن أن يكون ما جاء به العلم فأيدها عند بشر منذ محمد -ﷺ- وأن ما جاء به أربعة عشر قرنا يؤكد أنه رسول الله حقا وصدقا ، وعرف آليسون أن الإسلام هو العقيدة وأنه منهج للحياة في هذه الدنيا ، حتى أنه لم يجد مفرا من أن يعلن عن قناعاته وإيمانه بالإسلام ٠

(١) الزمر: ٤٢ ٠

وفي الليلة الختامية للمؤتمر ، وأمام مراسلي وكالات الأنباء العالمية وشاشات التليفزيون وقف آرثر اليسون ليعلن أمام الجميع أن الإسلام هو دين الحق وقال : أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ٠

في تلك اللحظات تعالت تكبيرات المسلمين من حوله وأخذت ترتفع ، ودموع البعض قد انهمرت خشوعا ورهبة أمام هذا الموقف الجليل ، وأخذ آليسون يحكي عند قصة إسلامه فيقول :

حينما كنت رئيسا لجمعية الدراسات النفسية والروحية البريطانية أردت أن أتعرف على الأديان فدرستها كعقائد ومن تلك العقائد عقيدة الإسلام الذي وجدته أكثر العقائد تمشيا مع الفطرة التي ينشأ عليها الإنسان تمشيا مع العقل كأن يكون هناك إلها واحدا مهيمنا ومسيطرا على هذا الوجود ٠

وان الحقائق العلمية التي جاءت في القرآن والسنة منذ أربعة عشر قرنا قد أثبتها العلم الحديث الآن ٠

وبالتالي فإن المؤكد أن ذلك لم يكن من عند بشر على الإطلاق ، وان النبي محمد -ﷺ- ما هو إلا رسول الله حقا ٠

فأثبت آليسون أن الآية الكريمة تثبت أن الوفاة تعني الموت ، وتعني النوم ، وأن الموت وفاة غير راجعة في حين أن النوم وفاة راجعة من خلال الدراسات الباراسيكولوجية ٠

وقد ثبت ذلك من خلال رسم المخ ورسم القلب والفحوص الإكلينيكية فضلا عن توقف التنفس الذي يجعل الطبيب يعلن عن موت هذا الشخص أو عدم موته في حالة غيبوبته أو نومه ٠

وبذلك أثبت العلم أن النوم والموت عملية متشابهة تخرج فيها النفس وتعود في حالة النوم ولا تعود في حالة الموت ٠

وقال آرثر اليسون الذي غير اسمه إلي عبد الله آليسون ٠

إن الحقائق العلمية في الإسلام هي أمثل وأفضل أسلوب ولا سيما للذين يحتجون بالعلم والعقل للدعوة الإسلامية ٠

وأعلن انه سيقوم بإنشاء معهد للدراسات النفسية الإسلامية في لندن على ضوء القرآن المجيد والسنة النبوية والاهتمام بدراسات الإعجاز الطبي في الإسلام وذلك لكي تصل الحقائق إلى العالم الغربي الذي لا يعرف شيئا عن الإسلام ٠

كما وعد بإنشاء مكتبة إسلامية ضخمة باللغتين العربية والإنجليزية للمساعدة في إجراء البحوث العلمية على ضوء الإسلام ٠

والله ما أعظم هذا الدين حينما يسمع أحد العلماء آية من كتاب الله -تعالى- فيؤمن به إيمانا كاملا ٠

وعند المسلمين نسمع ونقرأ القرآن كاملا ولا نقف عند آية واحدة منه نفهم معناها ونستخلص منها بعض الحقائق والنتائج ٠

ونتبارى في حفظ القرآن ومراجعته عدة مرات وخاصة في شهر رمضان ومع كل هذا لا تستوقفنا آية وصدق فينا قول الله -تعالى- : ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾ ﴾ (١) ٠

وفي هذا أبلغ الرد على من يدعي عدم جدوى الإعجاز العلمي ودراسته في ضوء القرآن والسنة النبوية ، فاللهم اهد قومي فإنهم لا يعلمون ٠

(١) محمد: ٢٤ ٠

الفصل الثالث
الاعجاز العلمي في عبادات الإسلام
الإعجاز الرباني في فريضة الصيام وسنة القيام (صلاة التراويح)

نظرا لما في الصيام والقيام من فوائد عديدة وحكم جليلة رأيت أن أخصص هذا المقال عن الإعجاز الرباني في الصيام ٠

ففرض الصيام ليكون إصلاحا للجسد لا تعذيبا كما يظن الواهمون فالصوم مصحة للأبدان والأذهان والقلوب وقد روي في الأثر ((صوموا تصحوا)) رواه الطبراني ٠

وفي ضوء هذا الهدوء الرباني والنبوي برع كثير من العلماء والباحثين في البحث والتنقيب عن حقائق عملية إعجازية في الصيام وسنة القيام ، وتوصلوا مبدئيا إلى أن الجسد خلقه الله -تعالى- مهيأ لقبول الصيام الذي فرضه الله -تعالى- عليه من غير ضرر يقع عليه بل في الصيام منافع روحية وصحية عظيمة ، فالامتناع عن الطعام والشراب وجميع الشهوات والمفطرات فترة تتراوح بين ١٢ – ١٦ ساعة يوميا من طلوع الفجر إلى غروب الشمس مع النية مع توجيه الإسلام أتباعه إلى الاعتدال في تناول الطعام والشراب يعود عليهم بالفوائد الروحية والصحية ٠

فالامتناع عن الطعام يؤدي إلي تحسين وظائف الأعضاء وإحداث تمثيل غذائي جديد بطريقة مغايرة لما كانت عليه الأعضاء قبل الدخول في شهر رمضان ٠

فوائد الصيام الطبية :
أثبت الأطباء أن فراغ المعدة والأمعاء يؤدي إلى فوائد صحية كثيرة منها :

١- إتاحة راحة فسيولوجية لجميع أعضاء الجسم ٠

٢- طرح السموم والفضلات من الدهون والمواد الغذائية الأخرى خارج الجسم عن طريق البول والإفرازات التي تخرج من الجسم ٠

٣- تتخلص الأمعاء من الجراثيم الضارة التي تراكمت فيها ٠

٤- المحافظة على الأنسجة والخلايا خصوصا الجهاز المناعي ٠

٥- تجديد خلايا الأنسجة للأعضاء الحيوية في الجسم ٠

٦- تقوية الذاكرة وتحسن أعضاء الحس والشعور ٠

٧- الشفاء من الأمراض المزمنة ، فقد عجز الطب عن علاج أمراض كثيرة مزمنة ، واكتشفوا أن الصوم علاج لهذه الأمراض ومنها :

الربو والسعال والتهاب القصبات الهوائية وبعض أمراض القلب والروماتيزم والتهاب الوريد المزمن وحب الشباب ، وارتفاع الكولسترول في الدم وعسر الهضم وسوء الامتصاص والبول السكري والجيوب الأنفية وغير ذلك ٠

٨- تخليص الجسم من الشحوم وتراكمها في الجسم وهي التي تؤدي إلي مرض السمنة وهو مرض عصري يؤدي إلى أمراض كثيرة تنتهي بوفاة الإنسان ، ومن هذه الأمراض :

قصور القلب أو حدوث مرض الشريان التاجي – الجلطة في القلب أو المخ– وارتفاع الضغط الدموي وغير ذلك ٠

فوائد الصيام الصحية :

١ – يقضي بدنك على ٨٠ ٪ من السموم المتراكمة والفيروسات الغير معروفة ٠

٢ – يعمل البنكرياس بصورة كبيرة ، الأمر الذي يحميك من داء السكري لمدة ٨ أشهر ٠

٣– يتخلص من النيكوتين الأمر الذي يساعد على الإقلاع عن التدخين في الدماغ ٠

٤ – تتأخر الشيخوخة ثلاثة أشهر إضافية نظرا لأن الصيام ينظف الخلايا ٠

٥ – يغسل الصوم الكلى كما يعطى فرصة أكبر للكبد للحفاظ على درجة تأهبه لتوزيع الأيض وقتل السموم ٠

والأعظم من ذلك :

أن تتخلص من ذنوبك ، فسبحان الذي كتب علينا الصيام لننتفع به ٠

وأكد العلماء أن الصوم قد عالج هذه الأمراض الخطيرة وخاصة السمنة ٠

٩- معالجة بعض الأمراض الجنسية فقد عالج بعض حالات العقم ؛ لأنه ينشط إفراز الهرمونات المنشط للجريبات fsh وهرمون اللوتنة وهرمون البرولاكتين prolactin ويحسن أداء هرمون الذكورة testostex0one النطف وقد لوحظ ازدياد حالات الحمل في شهر شوال الذي يلي رمضان ٠

١٠- الصيام وقاية وتغذية لجهاز المناعة والكبد ، فالجهاز المناعي يجدد نشاطه وخلاياه عن طريق الصيام حيث يعد هذا الجهاز الخط الدفاعي للجسم ضد أي ميكروب أو فيروس ٠

الصيام شهادة صحية للجسم

يعتبر الصيام شهادة صحية لأجهزة الجسم بالسلامة :

إذ لولا الصيام لظلت أعضاء الجسم غارقة في المواد الدهنية والسموم بسبب امتلاء المعدة والأمعاء بها ٠

ومن هنا وجد الأطباء أن الصيام أو ما أطلقوا عليه التجويع فيه فوائد صحية ففتحوا له مصحات علاجية وأيقن الجميع أن الصيام هو الأصل في علاج كثير من الأمراض وأنه هو النظام الغذائي الأمثل في تحسين الكفاءة الكبدية ٠

وما زال البحث جاريا في الجامعات ومراكز الأبحاث العالمية للوقوف على مزيد من فضل الله -تعالى- وأسراره التي وضعها في فريضة الصيام ٠[١]

الحكمة من وراء الإفطار على الرطب أو التمر أو الماء :

من توجيهات النبي -ﷺ- الحكيمة أنه -ﷺ- دعا إلى الإفطار على رطب أو تمر أو ماء كما جاء في سنن أبي داوود والترمذي أنه -ﷺ- قال: " إذا أفطر أحدكم فليفطر علي تمر فإن لم يجد فليفطر على ماء فإنه طهور " وأنه -ﷺ- " كان يفطر على رطبات قبل أن يصلي فإن لم تكن رطبات فعلى تمرات فإن لم تكن فحسوات من ماء "

(١) منبر الإسلام عدد يوليو ٢٠١٥ – ص ٤٧ ، ٥١ ٠

وهناك أحاديث أخرى رويت بروايات مختلفة من خلالها أثبت الطب :

١- أن التمر به نسب عالية من السكريات التي توفر الطاقة للجسم خلال فترة الصوم ٠

٢- يقضي على الصداع أو ما يسمى بصداع الجوع الذي ينتج عن هبوط نسبة السكر في الدم ٠

ولهذا من باب النصيحة لابد أن يتضمن السحور طعاما حلوا كالتمر ونحوه لما فيه من السكريات والبروتينات والهون والفيتامينات والمعادن التي تمتص مباشرة من الجهاز الهضمي ليروي ظمأ الجسم من الطاقة وخاصة الأنسجة التي تعتمد أساسا على السكريات كخلايا المخ والأعصاب وخلايا الدم الحمراء وغيرها ٠

ومن الهدي النبوي : أداء صلاة المغرب بعد الإفطار علي التمر والماء ليعطي للمعدة فرصة في الهضم والامتصاص لتأخذ جميع الأعضاء من الطاقة ما يعينها على أداء وظائفها وتتسلم من الهدم والدمار ٠

والأمر يكون على العكس من ذلك ولو بدأ الصائم فطره بتناول المواد البروتينية أو الدهنية فالجسم لا تعود إليه الحيوية والنشاط ، حيث أن المواد البروتينية وغيرها لا تمتص إلا بعد فترة طويلة من الهدم والتحلل ٠

ولذلك لابد من تنفيذ وصية الإسلام للصائم الذي يفطر بعد جوع نهاره ألا يسرف في الأكل قال -تعالى- ﴿ ۞ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ٣١ ﴾ [1] ٠

وصدق رسول الله -ﷺ- إذ يقول : " بحسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه فإن كان ولابد فاعلا فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه " رواه النسائي ٠

(١)الأعراف: ٣١ ٠

ورحم الله -تعالى- الشافعي – رضي الله عنه – "البطنة تذهب الفطنة " ٠

وما أصدق الحكمة القائلة : " قليل من الصوم يصلح المعدة " ٠

فهذا قليل من كثير عن فوائد الصيام وعما أثبته العلم الحديث عن أهمية الصوم للجسم الإنساني وتفاديه وتعافيه من أمراض كثيرة ٠

وأخيرا أتوجه بنصيحتي للأخوة الصائمين بأن يفهموا المنهج الرباني من حكمة الصيام وأن ينبذوا العادات والتقاليد السيئة التي سادت في مجتمعنا ولا يجعلوه شهر طعام وشراب فيفهموا الحكمة من وراء فرضيته ٠ (١)

قيام الليل وصلاة التراويح

يقول الإمام الشافعي : " العبادات معللة بمصالح الخلق " ٠

أي أن العبادات لو أديت على النحو الذي أراده الله سبحانه وتعالى لجعلت من المؤمن شخصية سوية صاحب أفق واسع ونظر ثاقب وعقل راجح ٠

فالصوم عموما تبرئ من ألم الفؤاد والمعدة والأمعاء وكثير من الآلام ففيها فائدة روحية واطمئنان قلبي وهدوء نفسي ٠

كذلك توجد فيها فوائد صحية جسمية إذا ما أقيمت على وجهها الصحيح ٠

ومن هنا تتضح الحكمة البالغة من صلاة التراويح في شهر رمضان المبارك ، ذلك أن الصائم يكون قد أكل وشرب ، ولعله قد زاد في كمية طعامه وشرابه عند تناول وجبة الإفطار ، لذا كانت هذه النافلة في شهر رمضان من خير أنواع العلاج لما قد ينجم من خطر زيادة الدهون في الطعام ٠

ومن ثم فإن الصلاة عموما تعد صمام أمان في حياة المؤمن الذي يؤديها على الوجه الذي بينه لنا رسولنا العظيم -ﷺ- ٠

(١) منبر الإسلام عدد يونيو ٢٠١٥ – ص٥٠ ٠

قيام الليل وأثره في بناء الرجال

لقد اهتم الإسلام ببناء الرجال في ظل العبادات (الفرائض منها والنوافل) وعلمنا أن المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف ، فمقام العزة والقوة لا يتأتى من فراغ ، ولكن لابد من تربية عالية في ظل طاعة الله ورسوله -ﷺ- لذا كانت الصلاة هي باب العبودية لله سبحانه وتعالى وهي صيانة للنفس وتحصين لها من هواجس الشيطان ٠

وقد شرعت صلاة قيام الليل لتربية الأجيال ونظرا لما فيها من فوائد خاطب الله -تعالى- حبيبه -ﷺ- قال -تعالى- : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ ۝١ قُمِ ٱلَّيۡلَ إِلَّا قَلِيلٗا ۝٢ نِّصۡفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصۡ مِنۡهُ قَلِيلًا ۝٣ أَوۡ زِدۡ عَلَيۡهِ وَرَتِّلِ ٱلۡقُرۡءَانَ تَرۡتِيلًا ۝٤ ﴾ (١) ٠

ففي قيام الليل من النشاط والرياضة التي يستفيد منها الجسم والقلب قال – تعالى- : ﴿ إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيۡلِ هِيَ أَشَدُّ وَطۡئٗا وَأَقۡوَمُ قِيلٗا ۝٦ ﴾ (٢) ٠

ولذا يجب علينا أن ننتبه إلي حديث أبي هريرة رضي الله عنه الذي يقول فيه حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ عَنْ الْأَعْمَشِ عَنْ أَبِي صَالِحٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ :

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- (يَعْقِدُ الشَّيْطَانُ عَلَى قَافِيَةِ رَأْسِ أَحَدِكُمْ بِاللَّيْلِ بِحَبْلٍ فِيهِ ثَلَاثُ عُقَدٍ فَإِنْ اسْتَيْقَظَ فَذَكَرَ اللَّهَ انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ فَإِذَا قَامَ فَتَوَضَّأَ انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ فَإِذَا قَامَ إِلَى الصَّلَاةِ انْحَلَّتْ عُقَدُهُ كُلُّهَا فَيُصْبِحُ نَشِيطًا طَيِّبَ النَّفْسِ قَدْ أَصَابَ خَيْرًا وَإِنْ لَمْ يَفْعَلْ أَصْبَحَ كَسِلًا خَبِيثَ النَّفْسِ لَمْ يُصِبْ خَيْرًا) (٣) ٠

****

(١)المزمل: ١ – ٤ ٠
(٢) المزمل: ٦ ٠
(٣) سنن ابن ماجه : باب /ما جاء في قيام الليل –ج٤ ، ص٢٢٥ ٠

مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بدمنهور العدد الرابع الجزء الرابع ٢٠١٩م

الفصل الرابع
الاعجاز العلمي في القرآن
عالم الحيوان
"قنبلة صحية كانت مخيفة عند المسلمين"

فوائد شحوم المواشي (الغنم والإبل والبقر) المخفية عنا قصدا إنها مفاجأة من العيار الثقيل وغير متوقعة لجميع الناس يعني فيتامين A0D0E0K

تأملوا معني هذه الآية في سورة الأنعام وهي قول الله -تعالى- : ﴿ وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا كُلَّ ذِى ظُفُرٍ ۖ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ وَٱلْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَآ إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَآ أَوِ ٱلْحَوَايَآ أَوْ مَا ٱخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ۚ ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِبَغْيِهِمْ ۖ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿١٤٦﴾ فَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل رَّبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَٰسِعَةٍ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُۥ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١٤٧﴾ سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَىْءٍ ۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُواْ بَأْسَنَا ۗ قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَآ ۖ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ ﴿١٤٨﴾ قُلْ فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُ ۖ فَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٤٩﴾ ﴾ (١)

لقد حرم الله -عز وجل - شحوم المواشي علي اليهود عقوبة لهم ، والسؤال الهام هو:ما أهمية هذه الشحوم للإنسان ؟؟؟

وماهو الخير العظيم الموجود فيها حتى يصبح تحريمها علي اليهود عقوبة ربانية علي كفرهم ؟

وهل صحيح ما هو مشاع منذ سنين طويلة إلي أن أصبح الأمر المتعارف عليه بين الناس وهو: أن الشحوم مسؤولة تماما عن زيادة الكولسترول في جسم الإنسان بل وأنها السبب الرئيسي فيه ؟

في مؤتمر عالمي للقلب عقد في محافظة الإحساء بالمملكة العربية السعودية نظمه مركز (الأمير سلطان) ٠

(١)الأنعام: ١٤٦ – ١٤٩ ٠

فجر البرفسيور الأمريكي (بول روش) رئيس المعهد الأمريكي لأبحاث التوتر العصبي بواشنطن قنبلة مدوية من العيار الثقيل جدا ٠

حيث أعلن أن الكولسترول : هو أكبر خدعة قام بها اليهود في السنين الماضية ولكن الحقيقة هي :

أن الطعام الدسم بشحوم الأغنام والإبل وتناول دهون الأبقار (سمن البقر) هو من يقوم بإخراج جميع السموم من جسم الإنسان – بإذن الله – وإعطاء الليونة ، والمرونة للشرايين ، والجلد ، وتغذية الكبد والأمعاء ، وكافة الأجهزة بالجسم ، والدفع بالطاقة لأعلى مستوياتها ٠ الله أكبر الله أكبر ، ما هذا الجمال الرباني والتشريع الإلهي الحكيم ٠

إن الشحم (سمن البقر) بريء من كولسترول الدم أو الإصابة بالنوبات القلبية والمتهم الحقيقي في ذلك هي : الزيوت المهدرجة بجميع أنواعها مثل : (دوار الشمس والذرة والسمن الصناعي من المارجرين وأنواع الزبدة وغيرها من كافة الأنواع الموجودة في الأسواق) ٠

وقال (بول روش) : إنها الدعايات المضللة ،والخطط القذرة المنهجة واللاأخلاقية للشركات اليهودية والغربية ٠

بدءا من شركات صناعة الزيوت المهدرجة التي تباع على الأرفف في المحلات والسوبر ماركت ومحلات المواد الغذائية لتتعطل أجسام البشرية وتصاب الوظائف الحيوية من قلب ودم وأوردة وشرايين لتفتك بالكبار والأطفال المساكين ٠

ثم تتدخل شركات الأجهزة الطبية لتسويق أجهزة فحص الدم . ثم شركات العقاقير بما يسمى ب (الأدوية والمواد الحافظة) ٠

ثم شركات الأغذية الخاصة بصناعة الأطعمة قليلة الدسم ٠

ثم شركات الأجهزة الرياضية وأدوات التخسيس والرشاقة وإذابة الدهون وانتهاء بشركات (الدايت نوتريشن) مراكز التخسيس إجمالا ٠

أقول :

إن الدافع المشترك والهدف الحقير لكل هذه الشركات هو : الربح المادي والأضرار بالبشرية وخاصة المسلمين والدول المستهدفة ٥٦ دولة إسلامية بشكل أكثر تركيزا من باقي الدول ٠

وأن العلماء والباحثين القادرين علي رفع أصواتهم لكشف هذا الخداع سيكونون عرضة لخسارة الدعم لأبحاثهم العلمية بل والقضاء علي حياتهم العلمية إذا لزم الأمر ٠٠٠ حسبنا الله ونعم الوكيل ٠

وأخيرا : انظروا يا مسلمين في قرآنكم ، وابحثوا فيه فكم من الكنوز القرآنية غائبة عنا ٠ فاللهم اهدي قومي فإنهم لا يعلمون ٠

نماذج من الإعجاز العلمي في عالم الحيوانات

شاءت قدرة الله -تعالى- أن تتجلى في مخلوقاته في عالم الإنسان وعالم الحيوان فقال -تعالى- : ﴿ أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ ﴾ (١) ٠

وقال -عز وجل- : ﴿ وَٱلْأَنْعَٰمَ خَلَقَهَا ۗ لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَٰفِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٥﴾ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ﴿٦﴾ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا۟ بَٰلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ ٱلْأَنفُسِ ۚ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٧﴾ وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً ۚ وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨﴾ وَعَلَى ٱللَّهِ قَصْدُ ٱلسَّبِيلِ وَمِنْهَا جَآئِرٌ ۚ وَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩﴾ ﴾ (٢) ٠

وقال تعالى: ﴿ أَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلطَّيْرِ مُسَخَّرَٰتٍ فِى جَوِّ ٱلسَّمَآءِ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾ (٣) ٠

(١) الغاشية: ١٧ ٠
(٢)النحل: ٥ – ٩ ٠
(٣) النحل: ٧٩ ٠

ولذلك الناظر في مخلوقات الله من عالم الحيوان سيجد العجب العجاب من دلائل قدرة الله -تعالى- الإعجاز وكان من أطرف وأجمل ما قرأته في هذا الشأن " علماء الغرب اكتشفوا حيوان لا يشرب الماء " وأقاموا الدنيا وأقعدوها وفرحوا لأنهم وجدوا ما يكذب القرآن الكريم الذي يقول فيه الله -عز وجل - : ﴿ أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَاۖ وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّۖ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ (١) .

قال تعالى : ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴿٣٠﴾ ﴾ (٢) .

وكان الله -تعالى- لهم بالمرصاد.....

تتعدد عجائب الدنيا الدالة علي عظمة الخلق وقدرته سبحانه وتعالى ، فالحيوان الذي نحن بصدد ذكره اليوم فيه العديد من العجائب ، فكلنا نعرف أهمية الماء للكائنات الحية قال الله -تعالى- (وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّۖ) فكل شيء في هذه الحياة يحتاج إلي الماء للبقاء حيا ، وهذا تعميم على جميع الكائنات الحية ، ولكن اكتشف العلماء حيوان لا يشرب الماء ،والأدهى من ذلك أنه إذا شرب الماء يموت ، وسنتعرف على هذا الحيوان ، الحيوان الذي لا يشرب الماء هو (الفأر – الكنغر البري)، يعيش في صحراء (نيفادا) بأمريكا ،لا يشرب الماء إطلاقا مع أنه يعيش في الصحراء، استأنسوه ووضعوه في مزارع وحاولوا أن يسقوه الماء فكانت النتيجة أنه مات .

(١)الأنبياء: ٣٠ .
(٢) الأنفال: ٣٠ .

مع أن الآية الكريمة تقول ﴿ أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَاۖ وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّۖ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ وهذا تعميم رباني لا استثناء فيه إذا أين المخرج ؟

عندما درسوا هذا الحيوان وجدوا أنه بالإضافة إلى جهازه الهضمي والتنفسي والدوري يوجد لديها (مصنع لتركيب الماء) مصنع بكل ما تعنيه الكلمة من معاني ودلالات قوله –تعالى– : ﴿ وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِۚ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍۚ إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴿٨٨﴾ ﴾ (١) .

يأكل هذا الحيوان نوعا من الحبوب موجودة في بيئته ؛ هذه الحبوب (جافة جدا) ليست فيها قطيرة ماء بعد هضمها في الجهاز الهضمي تنتج غاز (الهيدروجين) كلنا نعرف أن الماء مكون من (ذرتين هيدروجين) وذرة (أكسجين) HO2 وهو يحصل على الأكسجين من الهواء فيقوم (مصنع المياه الداخلي) بتركيب (ذرتين من الهيدروجين) الناتجة من الجهاز الهضمي (وذرة من الأكسجين) الناتجة من الجهاز التنفسي ويكون الماء (داخليا) ليظل التعميم تعميما ربانيا ﴿ أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَاۖ وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّۖ ﴾ . قال تعالى : ... ﴿ هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِى مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦۚ بَلِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١١﴾ ﴾ (٢).

(١) النمل: ٨٨ .
(٢) لقمان : ١١ .

قال تعالى : ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴿٣٠﴾ ﴾ (١).

سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم ، وهذا من الإعجاز العلمي في القرآن الكريم لم يكن العلماء يعلمون أن الماء يدخل في تركيب كل كائن حي بينما هو مذكور في القرآن منذ أثر من ألف وأربعمائة سنة .... سبحان الله .... ﴿ ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴿٥٠﴾ ﴾ (٢) .

تلك هي دلائل وعظمة قدرة الله -تعالى- في مخلوقاته وما زال العلم سيكشف عن هذه الدلالات وخاصة مع تقدم العلم وتطور وسائل البحث العلمي .

ولننتقل أيها الأحباب إلي إعجاز علمي آخر في القرآن الكريم وهو إعجاز يبهر العقول، وقد كان لهذه الآية سبب نزول وهو:

إعجاز يبهر العقول لا يصدق عن البعوض ، اقرأ ثم قل سبحان الله العظيم :

﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْىِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَيَقُولُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا ۘ يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهْدِى بِهِۦ كَثِيرًا ۚ وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٦﴾ ﴾ (٣).

(١)الأنفال: ٣٠ .
(٢) طه : ٥٠ .
(٣) البقرة: ٢٦ .

البعوضة

هذا المخلوق الضعيف العجيب ، الله سبحانه وتعالى عندما ضرب مثلا (ما بعوضة) ، فهو ليبين للناس أن هذا المخلوق الصغير في حجمه عظيم في خلقه ، إليكم هذه المعلومات عنها :

١ – هي أنثي (الأنثى هي فقط من تمتص الدماء) ٠

٢ – لها مائة عين في رأسها ٠

٣ – لها في فمها ٤٨ سن ٠

٤ – لها ثلاثة قلوب في جونها بكل أقسامها ٠

٥ – لها ستة سكاكين في خرطومها ولكل واحدة وظيفتها ٠

٦ – لها ثلاثة أجنحة في كل طرف ٠

٧ – مزود بجهاز حراري يعمل مثل نظام (الأشعة تحت الحمراء) ، وظيفته يعرف لها لون الجلد البشري في الظلمة إلى لون بنفسجي حتى تراه ٠

٨ – مزود بجهاز تخدير موضعي يساعدها على غرز إبرتها دون أن يحس الإنسان وما يحس به كالقرصة هو نتيجة مص الدم ٠

٩ – مزود بجهاز تحليل دم فهي لا تستسيغ كل الدماء (لها مزاج في الأكل) ٠

١٠ – مزود بجهاز لتمييع الدم حتى يسري في خرطومها الدقيق جدا ٠

وأغرب ما في هذا كله أن العلم الحديث اكتشف أن فوق ظهر البعوضة حشرة صغيرة جدا لا تري إلا بالعين المجهرية ٠ وهذا مصداق لقوله –تعالى– : ﴿ **مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا** ﴾ . فسبحان الله العظيم

وللشيخ الشعراوي – رحمه الله – كلام رائع في تفسير هذه الآية ننقل جزءا منه لبيان مدى الترابط بين العلم والدين أو بين إشارات القرآن الكونية وخاصة علم الحيوان ٠

وننتقل إلي عالم النحل هذا العالم الغريب المليء بالخفايا الكونية والدلالات الإعجازية التي لم يدركها العقل البشري إلا بعد تقدم وسائل البحث العلمي في العصر الحديث ٠

يقول الباحث الألماني : "فولغانغ شتورتسل " على الرغم من صغر حجم النحلة إلا أنها تري العالم من زوايا عديدة وتستطيع اكتشافه بشكل مدهش ، فالنحلة تستطيع باستراتيجيات بسيطة ودماغ ضئيل حل مسائل ببساطة غير متوقعة ٠٠٠٠٠

ويقف العلماء بالعقل عاجزين أمام هذا التعميم الإلهي البديع لهذا المخلوق المذهل ٠٠

ولكن القرآن يحدثنا عن سر من أسرار النحل وهو أن الله -تعالى- هو الذي أوحى عملها ، يقول -تعالى- : ﴿ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴿٦٨﴾ ﴾ (١) ٠ فسبحان الله العظيم

وفي تنقلنا بين عالم الحيوان من النحل إلي النمل نجد أن النمل هذه الحشرة الصغيرة تستطيع حمل ٢٠ ضعف وزنها ، ولذلك هي أقوي بكثير من أكبر لاعب لحمل الأثقال في العالم ٠٠٠٠٠٠ فهل تتواضع قليلا أيها الإنسان وتتذكر قول الحق -تبارك وتعالى- : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ﴿٦﴾ ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ﴿٧﴾ فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ﴿٨﴾ ﴾ (٢) ٠

(١) النحل: ٦٨ ٠
(٢)الانفطار: ٦ – ٨ ٠

ومازلنا في عالم الحيوان ومنها الطيور :

فنجد هذا الطائر وقد سخر الله -تعالى- التقنيات المناسبة ليتمكن من رؤية السمكة تحت سطح الماء وتحديد موقعها بدقة وإجراء كافة الحسابات اللازمة للانقضاض عليها وضمان عملية الهجوم ٠٠٠٠٠٠

كل ذلك يحدث في دماغ هذا الطائر الصغير ويعجب العلماء لهذه الحسابات المعقدة ويقولون كيف تمكنت الطبيعة من تزويد هذا الطائر بهذه المميزات ؟ ؟ ؟

ونقول ليست الطبيعة العمياء بل هو الله -تعالى- : ﴿ ٱلَّذِىٓ أَعۡطَىٰ كُلَّ شَىۡءٍ خَلۡقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴿٥٠﴾ ﴾ (١) ٠

إن عالم الطيور عالم رهيب وعجيب ومبهر تتجلى فيه قدرات الخالق – عز وجل – فهذا طائر قد زوده الله بقدرات على تحديد مكان السمكة بأجهزة استشعار عن بعد ، وكيفية وطريقة الهجوم على السمكة المراد صيدها ، وتحديد حجمها وشكلها ، وسرعة الانقضاض عليها وعدم الإفلات من هذا الهجوم المفاجئ ، واختيار الوقت المناسب للهجوم وما هي الأجهزة التي مكنت هذا الطائر من كل هذه الحسابات ٠

وأنفي تماما أي دخل للطبيعة في عمل هذا الطائر ، وأثبت أن الهداية والعطاء من الله -تعالى- لهذا الطائر ولغيره كي تستمر الحياة في هذا الكون العظيم ، وصدق الله العلي الكبير إذ يقول : ﴿ ٱلَّذِىٓ أَعۡطَىٰ كُلَّ شَىۡءٍ خَلۡقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴿٥٠﴾ ﴾ (٢) ٠

(١) طه : ٥٠ ٠
(٢)طه : ٥٠ ٠

القرآن والغرب

جسم النملة

اجتمع بعض علماء الغرب ليجدوا خطأ في القرآن في قوله -تعالى- : ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوۡاْ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمۡلِ قَالَتۡ نَمۡلَةٞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمۡلُ ٱدۡخُلُواْ مَسَٰكِنَكُمۡ لَا يَحۡطِمَنَّكُمۡ سُلَيۡمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ﴿١٨﴾ ﴾ (١) ٠

فكان الخطأ كما يزعمون في كلمة (لا يحطمنكم) فقالوا إن الشيء الذي يتحطم هو الصلب الجامد ولكن هذه كائنات حية طرية من لحم لما لم يقل (لا يفعصنكم) متجاهلين بلاغة القرآن ٠

فأتاهم الرد بعد سنتين ليكتشف العلماء أنفسهم أن ثلثي جسم النملة من زجاج فأسلموا ٠

وفي زمن نزول القرآن الكريم لم يكن لأحد قدرة على دراسة تركيب جسم النملة أو معرفة أي معلومات عنه ٠

ولكن بعد دراسات كثيرة تأكد العلماء أن للنمل هيكلا عظيما خارجيا صلبا جدا يسمى exoskeleten ولذلك فإن النملة لدى تعرضها لأي ضغط فإنها تتحطم ، ولذلك قال الله -تعالى- ﴿ لَا يَحۡطِمَنَّكُمۡ سُلَيۡمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ﴿١٨﴾ ﴾ ولذلك فإن كلمة (يحطمنكم) والتي تعني التكسير دقيقة جدا من الناحية العلمية ، وتشير دراسات جديدة أيضا إلي أن جسم النملة يتركب معظمه من كمية كبيرة من السيليكون الذي يدخل في صناعة الزجاج ، والتحطيم هو أنسب الأوصاف للفعل الدال على التكسير والتهشيم ٠

(١) النمل: ١٨ ٠

ويقول أحد العلماء جاءت العبارة (لا يحطمنكم) هنا للدلالة على طبيعة جسم النملة المفصلية arthropods التي تحتاج إلى تحطيم حيث يتكون جسمها الخارجي من مادة صلبة كالزجاج هي الكليتين chitih ٠

وهذه المادة تشابه في تركيبها الكيراتين مادة التكوين للقرون والحوافر والأظافر ٠

كذلك اكتشف العلماء أن أعين النملة ذات طبيعة بلورية كالزجاج لا تنكسر بسهولة بل تحتاج إلي تحطيم ٠ (فتبارك الله أحسن الخالقين)

واكتشف العلماء أن جسم النملة مغلف بغلاف صلب جدا قابل للتحطيم ، أي ليس له مرونة تجعله ينثني مثلا بل تنكسر كالزجاج ، ولذلك جاء البيان الإلهي ليتحدث عن هذه الحقيقة بكلمة (يحطمنكم) أليست هذه معجزة قرآنية ، فسبحان الله القادر على خلق كل شيء فهنيئا لنا أن القرآن كتابنا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴾ (١)

وقد أثبت العلماء بعد دراسة طويلة لعالم النمل : أن النمل من أثر الحشرات تنظيما ، ولديه وسائل للتواصل عن بعد ، وذلك من خلال إفراز مواد خاصة تنتشر رائحتها في كل اتجاه ، وتميزها بقية النملات وتفهمها ، ولذلك فقد حدثنا القرآن عن حقيقة علمية لم يكن أحد ليقتنع بها حتى زمن قريب ، وهي حقيقة التواصل والكلام في علام النمل ٠

وجاءت الآية حاكية قصة سيدنا سليمان عندما خرج مع جنوده وصادف مرورهم بقرب وادي النمل ، وعن مدى تحمل النمل للضغط فقد أثبت العلماء أن النملة لدى تعرضها لأي ضغط فإنها تتحطم كما جاءت اللفظة القرآنية الدقيقة جدا من الناحية العلمية ٠

(١)الملك: ١٤ ٠

النملة الأنثى هي التي تنبه من الخطر :

سبحان الله من الحقائق العلمية المؤكدة : أن النملة المؤنثة هي التي تتولى الدفاع عن المستعمرة وحمايتها من أي خطر مفاجئ وذلك بإصدار إشارات لبقية أفراد المستعمرة لينتبهوا إلى الخطر القادم ، وهذا ما حدثنا عنه القرآن يقول الحق تبارك وتعالى : ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوۡاْ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمۡلِ قَالَتۡ نَمۡلَةٞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمۡلُ ٱدۡخُلُواْ مَسَٰكِنَكُمۡ لَا يَحۡطِمَنَّكُمۡ سُلَيۡمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ١٨ ﴾ (١) .

وتأمل معي كيف جاء التحذير على لسان نملة مؤنثة فمن كان يعلم أن النملة المؤنثة هي التي تتولى الدفاع عن المستعمرة في ذلك الزمن .

****

الفصل الخامس
الإعجاز العلمي في القرآن "
عالم الجماد
كلمات إعجازية سيقت مساق الهداية

كلمة أو لفظ الذهب في القرآن والسنة

حينما يمسك المسلم بالمصحف الشريف في يديه ليتلو آيات الله يجد هناك بعض الألفاظ التي يقف عندها ويجيل فيها الفكر والتدبر ومن هذه الألفاظ أو الكلمات كلمة "الذهب" .

وقد وردت كلمة الذهب معرفة ومنكرة في القرآن الكريم "٨" مرات في مواضع مختلفة .

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهِمُ ٱلۡأَنۡهَٰرُ يُحَلَّوۡنَ فِيهَا مِنۡ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٖ وَيَلۡبَسُونَ ثِيَابًا خُضۡرٗا مِّن سُندُسٖ وَإِسۡتَبۡرَقٖ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِۚ نِعۡمَ ٱلثَّوَابُ وَحَسُنَتۡ مُرۡتَفَقٗا ٣١ ﴾ (٢) .

(١) النمل: ١٨ .
(٢) الكهف: ٣١ .

و قَالَ تَعَالَى: ﴿ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ يَدۡخُلُونَهَا يُحَلَّوۡنَ فِيهَا مِنۡ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٖ وَلُؤۡلُؤٗاۖ وَلِبَاسُهُمۡ فِيهَا حَرِيرٞ ٣٣ ﴾ (١) .

تؤكد هاتان الآيتان أن الذهب هو من حلي أصحاب الجنة كثواب للذين آمنوا وعملوا الصالحات .

وتخبر آية أخرى بأن الذهب هو أحد الأشياء التي زينت للناس في الحياة الدنيا وذلك في قوله –تعالى– : ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلۡبَنِينَ وَٱلۡقَنَٰطِيرِ ٱلۡمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلۡفِضَّةِ وَٱلۡخَيۡلِ ٱلۡمُسَوَّمَةِ وَٱلۡأَنۡعَٰمِ وَٱلۡحَرۡثِۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسۡنُ ٱلۡمَـَٔابِ ١٤ ﴾ (٢) .

ولقد عرف الإنسان الذهب منذ قديم الزمان، واكتسب عند الأفراد والمجتمعات أهمية خاصة بسبب جمال بريقه ونعومه ملمسه ، إضافة إلي ندرته وتحمل المشاق لطلبه واستخراجه لدرجة أن بعضهم قال :سمي بذلك ؛ لأنه يذهب العقل والجهد ،أو ؛ لأنه سريع الذهاب بطيء الإياب (الرجوع) إلي أصحابه .

خصائص الذهب :

وقد امتاز الذهب على بقية أنواع المعادن بمجموعة من الخصائص المهمة و فهو يتصف بمقاومته للصدأ والتلف ، ويحتفظ ببريقه ، ويقاوم درجات الحرارة العالية ،فضلا عن أنه سهل السحب (التشكيل) والطرق بصورة لا يتصورها عقل ، فالجرام الواحد منه يمكن سحبه لمسافة طويلة حتى يصبح خيطا رفيعا طوله ثلاثة كيلو مترات ، كما يمكن طرقه حتى يصبح رقيقة مساحتها متر مربع وسمكها جزء من ١٥٠ ألف جزء من المليمتر أو دون ذلك .

(١) فاطر: ٣٣ .
(٢) آل عمران: ١٤ .

ولذلك كان الذهب من أهم حلي أهل الجنة جزاءا من الله -تعالى- على حسن فعلهم وقوة اعتقادهم في الله -تعالى- ولتمتع به جزاء ما حرموا منه أنفسهم في الدنيا٠

قيمة الذهب :

الذهب واحد من العناصر النبيلة التي تشمل البلاتين والبلاديوم والروبيديوم بل إنه أنبلها ويأتي على رأسها نظرا لتمرده على المشاركة في التفاعلات الكيميائية بصورة مباشرة ، فهو لا يتحد مباشرة بعنصر الأكسجين الموجود بوفرة دائمة في الهواء، كما أنه لا يذوب في الأحماض العادية مثل حامض الكبريتيك وحامض الهيدروكلوريك – شان بقية الفلزات – ولكنه يذوب في خليط يتألف من حامض النيتريك و الهيدروكلوريك بنسبة محدودة ١:٣ ومن أجل هذا سمي هذا الخليط (بالماء الذهبي) (aquaRegia) لأن أذاب نبيلا أو أذاب ملكا وهو الذهب ٠ سبحان الله رب العالمين ٠

اهتمام العلماء بالذهب:

اعتنى علماء الحضارة الإسلامية باستخراج الذهب وتعدينه واستخدامه لترصيع التيجان وتزيين صفحات القرآن الكريم ، واستخدمت عملة الدنانير الذهبية المميزة بعبارات التوحيد وآيات من القرآن الكريم وقد أثبتت التحليلات العلمية الحديثة معرفة المسلمين الأوائل للميزان المضبوط في صنع عملاتهم الذهبية ومعاييراتها ٠

استخدامات الذهب في العصر الحديث :

زادت الاستخدامات الصناعية للذهب في عصرنا الحديث ، وساعدت خواصه المتميزة على استخدامه بشكل واسع كمادة أولية تدخل في مجالات الصناعات الدقيقة المتطورة كالحاسبات الإلكترونية والصناعات الفضائية ٠

ويحصي أهل الاختصاص أن ما يوضع للتداول سنويا من قبل البلاد المنتجة للذهب كمية تقدر بحوالي "١٢٠٠" طن منها "٣٥٠" طنا فقط تتحول إلي سبائك ومسكوكات وطنية وميداليات وما شابه ذلك ، بينما يستهلك أصحاب المشغولات الذهبية في العالم نصف الكمية المنتجة أي "٦٠٠" طن أما الباقي والبالغ نحو "٢٥٠" طنا فإنه يستخدم لأغراض مختلفة أخرى ٠

فعلى سبيل المثال : يستهلك طب الأسنان أكثر من "٥٠" طنا من الذهب سنويا ، ويستخدم الذهب بصورة متزايدة في الصناعات الصيدلية ، حيث يخلط بكميات صغيرة جدا مع بعض الأدوية المخصصة لعلاج العديد من الأمراض مثل التهابات روماتيزم المفاصل والأمراض الخبيثة والسل ، والأمراض الجلدية المزمنة وبعض الحالات العصبية ، وقد يكون ما وصل إليه العالم العالمي الدكتور/ مصطفى السيد بعلاج السرطان بجزيئات الذهب قد استنبط من دلالات الذهب في القرآن الكريم بجانب الجوانب الكيميائية والفيزيائية لعلاج أشد الأمراض فتكا بالإنسان في العصر الحديث ٠

وقد أسهمت تكنولوجيا " النانو" التي ابتكرها العالم المصري الكبير الدكتور أحمد زويل في الإفادة من ذرات الذهب في علاج بعض الأمراض المستعصية وهذا أثر من آثار القرآن – ولو قليلا – على علماء المسلمين في تطبيق الإشارات القرآنية الإعجازية على بعض الحقائق العلمية أو النظريات العلمية التي يكتشفها العلماء في العصر الحديث ٠

<u>الناحية الاقتصادية للذهب :</u>

لا شك أن الذهب يمثل الغطاء الآمن لرصيد الدول من العملات وقيمتها في سوق التداول العالمي للأوراق النقدية بقيمة الذهب تكون قيمة العملة المحلية ، ولذلك نرى رجال الاقتصاد وخبرائه يجمعون على أن اكتناز الذهب يعطل جزءا غير

يسير من ثروة البلاد ، ويحول دون إنفاقها على مصالح المجتمع ، ومن ثم تبرز حكمة الإسلام التشريعية وهو جانب من الإعجاز التشريعي في الحث على إنفاق الذهب والفضة في القربات والكفارات وصلة الأرحام ووجوه البر والطاعات ، والدعوة على استثماره على نحو امثل لخير المجتمع ، وذلك في ضوء المعاني الجليلة والجميلة والعظيمة التي وردت في قوله -تعالى- ﴿ وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾ ﴾ (١) .

فالحمد لله على نعمة الإسلام وسبحان الله الخالق الذي أعد لأهل الجنة من الحلي والذهب والأساور ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ، والله المستعان .

الجبال والإعجاز العلمي
(الجبال الأوتاد في القرآن الكريم)

قال -تعالى- : ﴿ أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ مِهَٰدًا ﴿٦﴾ وَٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا ﴿٧﴾ ﴾ (٢) .

هذه الآية الكريمة من سورة النبأ المكية تتحدث عن خلق الجبال ووظيفتها في هذا الكون وهذا المنظر كان أمام الناس فينظرون إلي الجبال وألوانها وأشكالها وارتفاعها ولماذا هي موجودة في الأرض فأجاب الله -تعالى- عن كل هذه الأسئلة فقال -تعالى- : ﴿ أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ مِهَٰدًا ﴿٦﴾ وَٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا ﴿٧﴾ ﴾ (٣) .

أي بساطا وفراشا فرشناها لكم حتى سكنتموها (والجبال أوتادا) للأرض لئلا تميد بكم فأرساها بها كما يرسي البيت بالأوتاد . (٤) .

(١) التوبة: ٣٤ .
(٢) النبأ: ٦ – ٧ .
(٣) النبأ: ٦ – ٧ .
(٤) البحر المديد ٨/ ٣٣٠ .

وجاء في كتاب اللباب في علوم الكتاب ١١/ ٢٤١ : ﴿ وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ شَامِخَاتٍ وَأَسْقَيْنَاكُم مَّاءً فُرَاتًا ﴿٢٧﴾ ﴾ [١] ٠ رواسي : هي الجبال الثوابت ٠

ولذلك قال بن عباس – رضي الله عنهما – " كان أبو قبيس أول جبل وضع علي وجه الأرض ٠

وقال السمرقندي : يعني أوتدها وأثبتها ٠ [٢]

وقال البيضاوي : " والجبال أوتادا " تذكير ببعض ما عاينوا من عجائب صنعه الدالة على كمال قدرته ليستدلوا بذلك على وجود الصانع سبحانه وتعالى ٠ (١/ ٤٣٨) ٠

وقال القرطبي : أي لتسكن ولا تتكفأ ولا تميل بأهلها (١٩/ ١٧١) ٠

هذه هي نظرة السادة المفسرين وعلماء الحديث إلي هذه الآية التي تثبت أن الجبال ما هي إلا مثبتات للأرض لئلا تهتز بالبشر فيستقرون عليها وتستمر حياتهم فيزرعون ويحصدون ويستغلون سطوح الجبال في الزراعة فيطمئنون في حياتهم ويجتهدون في عملهم ٠

ونبدأ بحث هذه الآية الكريمة مستعينين بالله -تعالى- في محاولة لالتماس حكمة الله في أن ذكر الجبال مع السماوات والأرض في مواطن عدة من القرآن الكريم، والجبال في هذه الآية منصوبة بالفعل (نجعل) في الآية التي قبلها ﴿ أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا ﴿٦﴾ وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا ﴿٧﴾ ﴾ [٣] ٠ وهي واردة في معرض من الله -تعالى- على عباده بآيات له في الخلق هي من مظاهر قدرته وحكمته ، وفي أسرار خلقها

(١) المرسلات: ٢٧ ٠
(٢) بحر العلوم ٣/ ٥١٤ ٠
(٣) النبأ: ٦ – ٧ ٠

وتصيرها إلى صورتها التي يشهدها الناس بعض دلائل قدرته التي ليس يعجزها شيء [١] .

وهذا كما يقول علماء البلاغة هو (التشبيه البليغ) فكأن ذلك التشبيه العجيب مفتاح أو مصباح يستكشف به المجهول من أمر الجبال عن طريقه المعروف من نظائر لها في الأوتاد . [٢]

والجبال فيما يتبادر إلي الذهن تشبه الأوتاد من ناحية البروز عن سطح الأرض وناحية الرسوخ فيها ، لكن التشابه والتناظر بينهما أشمل وأدق من هذا ، فالأوتاد تختلف من ناحية البروز في مداه وفي درجات الميل ، والجبال تختلف في الارتفاعات وفي درجات الميل كذلك .

والأوتاد يختلف رسوخها باختلاف صلابتها وشكلها ومدى ذهابها (عمقها) في الأرض وطبيعة تلك الأرض .

إن هناك عوامل في نشأة الجبال لم تكن تخطر ببال إنسان عند نزول القرآن ، فالأوتاد لابد في إنشائها من تشكيلها ثم من تثبيتها في الأرض بقوة ما ، وإذن فجعل الجبال أوتادا فيما أنبأ الله في كتابه من شأنه أن يقتضي أن تكون الجبال قد أنشئت بعقل قوي ، وهذا وحده حقيقة علمية حديثة دل عليها القرآن عن طريق ذلك التشبيه البليغ .

أهم أنواع الجبال :

إن أهم أنواع الجبال وأعظمها من غير شك سلاسلها ، وسلاسل الجبال عند علماء طبقات الأرض قد نشأت نتيجة لقوي عظيمة عملت جانبيا في القشرة الأرضية لما هبطت بثقلها ، حين خلا ما تحتها بانقباض باطن الأرض وانكماشه لما برد بالتدريج في الأحقاب الطويلة ، وشبهوا ذلك بتغضن جلد التفاحة لما ينقبض باطنها وينكمش

(١) الإسلام في عصر العلم ، ص٣١٤ .
(٢)الإسلام في عصر العلم ، ص٣١٤ .

تدريجيا بالجفاف البطيء وما نراه اليوم من الجبال هو حاصل تنافس قوى القشرة الأرضية وعوامل التعرية التي تنحت الجبال فيدل على قدم هذا الجبل عن غيره ٠

والمفسرون جميعا قالوا في تفسير آية النبأ أن الله سبحانه وتعالى ثبت الأرض بالجبال كي لا تميد ، كما ثبت بيوت الأعراب والخيام بالأوتاد ، ولكنهم لم يكونوا منطقيين ودقيقين في هذا القياس ٠

وذلك لأن الأوتاد حين تدق في الأرض لا يقصد بها تثبيت الأرض ولكن تثبيت فوق الأرض هو الخيمة ، فالدقة في قياس الجبال على الأوتاد في النفقة والوظيفة تقتضي شيئا فوق الأرض يعلو سطحها في جملته ، وتكون الجبال معينة على الاحتفاظ به على الأرض ٠

ويقول الدكتور / محمد أحمد الغمراوي : " وإنما نقول معينة لأن الأوتاد وحدها لا تكفي للاحتفاظ بالخيام إذ لابد لكل خيمة مع الأوتاد من عماد فما هو الشيء الذي فوق سطح الأرض يعلوها كالخيمة ، وتساعد الجبال على حفظه على الأرض ، ثم ما هو العامل الآخر الذي يتم عمل الجبال في الاحتفاظ بذلك الشيء كما يتم العماد عمل الأوتاد [١] ٠

ويجيب لنا الدكتور / محمد أحمد الغمراوي :

فيقول إن الشيء الذي يعلو الناس وفوق الأرض ويعمل عمله في وقايتهم هو (الغلاف الهوائي) أو (الغلاف الجوي) الذي يحيط بالأرض من جميع الجهات ويرتفع فوق سطح الأرض مئات الكيلو مترات ، ويحمي الناس من شر الشهب وشر القدر المؤذي من أشعة الشمس البنفسجية وفوق البنفسجية ، فالله –سبحانه وتعالى– يلفتنا في آية سورة النبأ إلي أن الجبال تعمل في الاحتفاظ بتلك الخيمة الجوية الهائلة عمل الأوتاد ، أما الذي يعمل عمل العماد متمما عمل الجبال ، أو الجبال

(١) الإسلام في عصر العلم ، ص٣١٦ ٠

متممة عمله ، فهو قوة الجاذبية بين الأرض وجملة الهواء والعماد لم يرد لها ذكر في الآية ولكن الآية تفيدها عن طريق اللزوم ، إذ لا تقوم الخيام بالأوتاد إلا مع العماد ٠

وهذا مثل عجيب للاكتفاء البلاغي في القرآن الكريم ، ثم هو مثل أعجب للإشارة إلى حقيقة كونية كبرى و حقيقة التجاذب بين الأرض والقبة الهوائية ذات الكتلة الهائلة ، ذلك التجاذب العمودي الاتجاه على سطح الأرض بالضبط كاتجاه العماد ٠

وقوة الجاذبية الأرضية هذه ينسب العلماء إليها سر احتفاظ الأرض بهوائها الجوي ولا يزيدون ، لكن خالق الأرض والهواء يشير إلي القوة التي عرفها العلماء تلك الإشارة اللزومية العجيبة في آية النبأ ٠

فهاتان حقيقتان قرآنيتان لم يكتشفهما علماء الفلك والطبيعة إلى اليوم وعلى مسلميهم المؤمنين بالقرآن البحث عنهما علميا حتى ينكشفا ويثبتا ، فينكشف بهما ويثبت للعالم الإسلامي وغير الإسلامي معجزتان كونيتان جديدتان للقرآن الكريم ٠

مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بدمنهور العدد الرابع الجزء الرابع ٢٠١٩م

الفصل السادس

الاعجاز العلمي في القرآن

عالم النبات

في القرآن إشارات علمية سبقت مساق الهداية

ومنها على سبيل المثال :

أ- التلقيح في النبات :

أثبت العلماء أن التلقيح في النبات ذاتي وخلطي ، والذاتي : ما اشتملت زهرته على عضوي التذكير والتأنيث ؛ والخلطي : هو ما كان عضو التذكير فيه منفصلا عن عضو التأنيث كالنخيل ، فيكون التلقيح بالنقل ، ومن وسائل ذلك الرياح وجاء في ذلك قول الله -تعالى- : ﴿ وَأَرْسَلْنَا ٱلرِّيَٰحَ لَوَٰقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَسْقَيْنَٰكُمُوهُ وَمَآ أَنتُمْ لَهُۥ بِخَٰزِنِينَ ﴿٢٢﴾ ﴾ (١) .

ب- الأكسجين :

وهو شيء ضروري لتنفس الإنسان – بل لكل الكائنات الحية – فنراه يقل في طبقات الجو العليا فكلما ارتفع الإنسان في أجواء السماء أحس بضيق الصدر وصعوبة التنفس ، وذلك القرآن الكريم الإشارة العلمية في ذلك فقال -تعالى- : ﴿ فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ ۚ كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٢٥﴾ ﴾ (٢) .

ج – ساد الاعتقاد بأن الذرة هي الجزء الذي لا يقبل التجزئة وجاء ذلك في القرآن فقال -تعالى- : ﴿ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٦١﴾ ﴾ (٣) .

---

(١) الحجر: ٢٢ .
(٢) الأنعام: ١٢٥ .
(٣) يونس: ٦١ .

ولا أصغر من الذرة سوى تحطيم الذرة والتي تشتمل على النواة والجزيء والنيوترون والبروتون وغير ذلك ، فانظر إلى قوله -تعالى- (ولا أصغ من ذلك) فقد فتح باب البحث للعلماء وأرشدهم إلى أن هناك أصغر من الذرة وهذا ما اكتشفه العلم الحديث وثبت به إعجاز القرآن الكريم ٠

د- يشير القرآن إلى وحدة الكون وحاجة الحياة إلى عنصر الماء يقول -تعالى- :

﴿ وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ (١) ٠

تلك الإشارات العلمية ونظائرها في القرآن الكريم جاءت في سياق الهداية الإلهية ، وللعقل البشري أن يبحث فيها ويتدبر ، ويقف فيها على أسرار العلم التجريبي فيزداد إيمانه وتتأكد عقيدته في أن هذا القرآن الكريم هو وحي الله -تعالى- إلى محمد -ﷺ- في زمن لم تكن وسائل العلم والأبحاث التجريبية معروفة ولا ميسرة ولا يوجد علماء يبحثون في هذه المسائل فدل ذلك على صدق رسول الله -ﷺ- فيما جاء به من رب العزة جل وعلا ٠

لذلك يا سادة لابد أن نؤمن بأن الحقائق القرآنية حقائق نهائية قاطعة مطلقة ؛ فالحمد لله على نعمة القرآن ونعمة الإسلام ٠

**********ا

الفصل السابع
بعض من صور الإعجاز في علم الفلك
"دوران وكروية الأرض "

(١)الأنبياء: ٣٠ ٠

حينما يمسك المسلم المصحف الشريف (القرآن الكريم) ويقرأ قول الله – تعالى–: (قَالَ تَعَالَىٰ:أَعُوذُ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهۡتَدُواْ بِهَا فِي ظُلُمَٰتِ ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۗ قَدۡ فَصَّلۡنَا ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ﴿٩٧﴾ ﴾ الأنعام: ٩٧ (١) .

وقوله –تعالى– : ﴿ وَٱللَّهُ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابٗا فَسُقۡنَٰهُ إِلَىٰ بَلَدٖ مَّيِّتٖ فَأَحۡيَيۡنَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَاۚ كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ ﴿٩﴾ ﴾ (٢) .

يقرأ المسلم هذه الآيات البينات فيحس إحساس الفطرة أن الله هو خالقها ويدرك بعقله أن لها علاقة بحياته ، فيبدأ وقد أسلمه الإعجاز البياني إلي التفكر والتدبر إلي أن يدرس ظواهر الكون ويتعلم ممن سبقه فيكون التأليف والترجمة ٠

ولقد ترجم العرب ما استطاعوا الحصول عليه من علم الفلك سواء عند الهنود أو الفرس أو اليونانيين ، وكانت لهم بعد مدارستهم للفلك عند هذه الأمم نظريات أصح من تلك النظريات التي عرفوها ممن كان قبلهم ٠

فالخوارزمي مثلا صنع (زيجا) استخلصه من مذاهب الأقدمين ، وابتكر (البتاني) زيجا آخر عرف (بالزربح الصابي) ٠

وفي القرن الرابع والخامس جاء أبو الوفاء البوزجاني والبيروني فاخترعا كثيرا من الآلات الفلكية التي استخدمت بعد ذلك في المراصد ٠

واستطاع الشريف الإدريسي الأندلسي أن يبعث الحياة في هذا العلم ، وأن يوجه إليه الأنظار بفضل ما أدخله من تجديد وابتكار ، وقد بلغ به الغاية في كتابه (نزهة المشتاق في اختراق الآفاق) ٠

(١) الأنعام: ٩٧ ٠
(٢) فاطر: ٩ ٠

وكان للمسلمين فضل سبق الحديث عن كروية الأرض ودائريتها فنجد المسلمين يتكلمون عن دائرية الأرض – وهو ما لم يعرفه الأوروبيون إلا من العرب فقد عرفها المسلمون من قرآنهم قال -تعالى- ﴿ وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ﴿٣٠﴾ ﴾[١] .

فقد كتب (ابن خرداذبة) المتوفي سنة ٨٨٥ هـ : (إن الأرض مدورة كتدوير الكرة موضوعة في جوف الفلك كالمجة في جوف البيضة) .

وقال المسعودي المتوفى سنة ٩٥٦هـ : (جعل الله عز وجل الفلك الأعلى وهو فلك الاستواء وما يشتمل عليه من طبائع التدوير فأولها كرة الأرض يحيط بها فلك القمر ويحيط بفلك القمر فلك عطارد) .

ونجد الإمام أبو حيان الأندلسي في تفسيره (البحر المحيط) ينص على كروية الأرض ويقول : في تفسيره لقول الله -تعالى- : ﴿ ۞ سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِى كَانُوا۟ عَلَيْهَا ۚ قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٤٢﴾ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ۚ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٣﴾ ﴾[٢]

وهو ما يعد سبقا علميا لم يسبقه أحد من المفسرين – وذلك في ظني – فيقول : إن المعنى كما جعلنا (الكعبة وسط الأرض) كذلك جعلناكم أمة وسطا دون الأنبياء وفوق الأمم .[٣]

(١) النازعات: ٣٠ .
(٢) البقرة: ١٤٢ – ١٤٣ .
(٣) البحر المحيط ١/ ٥٩٥ .

وهذا ما أكده الأستاذ الدكتور / يحي وزيري الباحث بالهيئة العالمية للإعجاز العلمي في القرآن والسنة النبوية إلي : أن الكعبة وسط الأرض ، وإنها هي صرتها وأن هناك ما يسمى نظير الكعبة ٠ (١)

ويستطرد الدكتور / يحي وزيري قائلا : أن الإمام أبا حيان هو الوحيد من بين جميع المفسرين الذين ذكروا أن الكعبة هي وسط الأرض ، ولذا أخذ بعض الناس بالتوقيت الإسلامي فيقولون (توقيت مكة المكرمة الإسلامي) وليس توقيت (جرينتش) الإفرنجي أو اللاتيني ٠ (٢)

ونجد الإمام أبا حيان عند تفسير قوله -تعالى- :﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى مَدَّ ٱلْأَرْضَ ﴾ (٣) ، يقول ومد الأرض بسطها طولا وعرضا ، ليمكن التصرف فيها ، والاستقرار عليها .

قلت : إن ما يذكره أبو حيان أن دحاها من مكة من تحت البيت يؤكد ما ذكرناه منذ قليل أن الكعبة وسط الأرض ٠

ويرى ابن عطية ، ينفي هذا الكلام فيقول وقوله -تعالى- (مد الأرض) يقتضي أنها بسيطة لا كرة وهذا هو ظاهر الشريعة ٠

ولكن نجد أبو عبد الله الداراني يقول : ثبت بالدليل أن الأرض كرة ، ولا ينافي ذلك قوله -تعالى- (مد الأرض) وذلك أن الأرض جسم عظيم ، والكرة إذا كانت في غاية الكبر كان كل قطعة منها تشاهد السطح ، والتفاوت بينه وبين السطح

(١) ينظر في هذا : موقع الهيئة العالمية للإعجاز العلمي في القرآن والسنة على شبكة المعلومات الدولية الإنترنت موقع NooRAN ٠

(٢) علوم القرآن عند أبي حيان الأندلسي د/ محمد إبراهيم أحمد رجب – رسالة دكتوراه ، ص٣٢٦ ، ٣٢٧ ٠

(٣) الرعد: ٣ ٠

لا يحصل إلا في علم الله -تعالى- ، ألا ترى إلى قوله -تعالى- (والجبال أوتادا) مع أن العالم والناس يسيرون عليها ٠ (١)

كروية الأرض ودورانها

ونرى كروية الأرض ودورانها واضح الدلالة في قوله -تعالى- : ﴿ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِٱلۡحَقِّۖ يُكَوِّرُ ٱلَّيۡلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيۡلِۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ كُلٞ يَجۡرِي لِأَجَلٖ مُّسَمّٗىۗ أَلَا هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡغَفَّارُ ٥ ﴾ (٢) ٠

والتكوير : اللف واللي يقال كار العمامة علي رأسه وكورها ، كما يقول الزمخشري في تفسيره : إلا أنه جعل يلتمس لذلك معنى مجازيا ، لما غاب عنه ما ظل مجهولا للناس أجمعين لقرون بعده ، من أن الله -تعالى- يلف الليل على النهار بلف محوري حقيقي للأرض ، التي هي محل الليل ، ويلف النهار على الليل بلي حقيقي لأشعة ضوء الشمس ، في غلاف الشمس الهوائي الذي تملؤه الظلمة وهي تدور ٠

وفي الفعل (يكور) المكرر في الآية مرتين معجزة علمية أخرى ،إذ قد دل بوضوح على كروية الأرض بكروية جوها الذي يشغله ، ويتعاوده الليل والنهار على التجدد في كل بقعة من بقاع الأرض (٣) ، وفي هذا غنى عن الاستشهاد على كروية الأرض بكلمة (دحاها) في قوله تعالى: ﴿ وَٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ٣٠ ﴾ (٤) ٠

الإعجاز العلمي

يريد بعض الباحثين العلميين إثبات كل نظرية علمية أشار إليها القرآن الكريم وقد يكون في ذلك بعض المجازفة ولكن هم معذورون في ذلك لأن حماسهم الـديني

(١) البحر المحيط ٥/ ٣٥٤ ، ٣٥٥ ٠
(٢) الزمر: ٥ ٠
(٣) الإسلام في عصر العلم د/ الغمراوي ص ٢٦٣ ، ٢٦٤ ٠
(٤) النازعات: ٣٠ ٠

والإيماني يجعلهم متحمسين لنصرة القرآن الكريم والسنة النبوية وما اشتملا عليه من إشارات علمية ٠

وجاء القرآن الكريم كتاب عقيدة وهداية ، يخاطب الضمير فيحيا فيه عوامل النمو والارتقاء ، وبواعث الخير والفضيلة ٠

وإعجاز القرآن العلمي ليس في اشتماله على النظريات العلمية التي تتجدد وتتبدل وتكون ثمرة للجهد البشري في البحث والنظر ، وإنما في حثه على التفكير ، فهو يحث الإنسان علي النظر في الكون وغيره ، ولا يشل حركة العقل في تفكيره ، أو يحول بينه وبين الاستزادة من العلوم ما استطاع إلى ذلك سبيلا ، ولا يوجد كتاب من كتب الأديان يكفل هذا بمثل ما يكفله القرآن ٠ (١)

فأي مسألة من مسائل العلم ، أو قاعدة من قواعده ، يثبت رسوخها ، ويتبين يقينها ، تكون محققة لما حث عليه القرآن من تفكير سليم ، ولا تتعارض معه بحال من الأحوال ، وقد تقدمت العلوم وكثرت مسائلها ولم يتعارض شيء ثابت منها مع آية من آيات القرآن ، وهذا وحده إعجاز ٠

"الإعجاز العلمي والقرآن الكريم والإيمان بالله "

إن القرآن الكريم يجعل التفكير السديد والنظر السائب في الكون وما فيه أعظم وسيلة من وسائل الإيمان بالله -تعالى- ٠

١- فهو يحث المسلم على التفكير في مخلوقات الله -تعالى- في السماوات والأرض قال -تعالى- : ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾ ﴾ (٢)

(١) مباحث في علوم القرآن – مناع القطان ، ص٢٧٨ ٠
(٢) آل عمران: ١٩٠ – ١٩١ ٠

٢- يحث القرآن الإنسان علي التفكير في نفسه ، وفي الأرض التي يعمرها وفي الطبيعة التي تحيط به قال -تعالى- : ﴿ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِم ۗ مَّا خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ بِلِقَآئِ رَبِّهِمْ لَكَٰفِرُونَ ﴿٨﴾ ﴾ (١) .

قال -تعالى- : ﴿ وَفِى ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ (٢)

وقال عز وجل : ﴿ أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾ ﴾ (٣) .

٣- يثير القرآن في الإنسان (الحس العلمي) للتفكير والفهم والتعقل قال -تعالى- : ﴿ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١٩﴾ ﴾ (٤) ، وقال تعالى: ﴿ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ (٥) .

وقال تعالى: ﴿ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ (٦) .

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٣﴾ ﴾ (٧) .

وقال تعالى: ﴿ ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾ (٨) .

---

(١) الروم: ٨ .
(٢)الذاريات: ٢٠ – ٢١ .
(٣)الغاشية: ١٧ – ٢٠ .
(٤) البقرة: ٢١٩ .
(٥) الحشر: ٢١ .
(٦) يونس: ٢٤ .
(٧) الرعد: ٣ .
(٨) الأنعام: ٦٥ .

٤- يرفع القرآن مكانة المسلم بفضيلة العلم قال -تعالى- : ﴿ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١﴾ ﴾ (١) .

ولا يسوي القرآن بين عالم وجاهل قال -تعالى- : ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٩﴾ ﴾ (٢) .

٥- يأمر القرآن المسلم أن يسأل ربه نعمة العلم والزيادة منه قال -تعالى- : ﴿ وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ ۖ وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا ﴿١١٤﴾ ﴾ (٣) .

٦- يجمع الله -تعالى- علوم الفلك والنبات وطبقات الأرض والحيوان ويجعل ذلك من بواعث خشيته وتقواه قال -تعالى- : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ ثَمَرَٰتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهَا ۚ وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدٌۢ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴿٢٧﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلْأَنْعَٰمِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَ ۗ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾ ﴾ (٤) .

وهكذا فإن إعجاز القرآن العلمي في أنه يحث المسلمين علي التفكير ، ويفتح لهم أبواب المعرفة ، ويدعوهم إلى ولوجها ، والتقدم فيها ، وقبول كل جديد وراسخ من العلوم .

(١) المجادلة: ١١ .
(٢) الزمر: ٩ .
(٣) طه: ١١٤ .
(٤) فاطر: ٢٧ - ٢٨ .

فوائد البحث في الإعجاز العلمي وزيادة الإيمان

يقول الدكتور أحمد فؤاد باشا:

إن البحث في الإعجاز العلمي لآيات القرآن الكريم على هدي وبصيرة يؤتي ثماره الحقيقية ببلوغ نهاية الإحسان على سلم الترقي في فهم آيات الله المنبثقة في القرآن الكريم وفي جنبات الكون الفسيح وفي أسرار النفس البشرية ، وباقي الموجودات ، كما أن ارتقاء العلوم الحديثة ونجاحاتها في استكشاف حقائق جديدة عن الكون من العوامل التي ساعدت على الاجتهاد في تسخير العلم الكوني لتجلية معاني جديدة لآيات القرآن الكريم شريطة أن يكون الاجتهاد في ذلك المجال وفق منهاج رصين محدد ينبغي الالتزام به في ضوء ما هو معروف عن معني الحقيقة العلمية وحدودها ٠

وإذا علمنا أهمية هذه الأبحاث في تعميق اليقين الإيماني عند المؤمنين ، ودفع الفتن التي ألبسها الكفار ثوب العلم ، عند بلاد المسلمين ، وفي دحض محاولات التستر بالعلم لإثارة الشبهات حول الإسلام والمسلمين ، وفي دعوة غير المسلمين ، وتوصيل الحقائق الإسلامية إليهم على اختلاف أجناسهم وأوطانهم ، وفي تحفيز وحث المسلمين للأخذ بأسباب النهضة العلمية ، وفي تعميق فهم ما خوطبنا به في القرآن والسنة ٠

تبين من ذلك كله أن القيام بهذه الأبحاث من أهم فروض الكفايات خاصة أن أهل عصرنا ممن يريدون الحق من سائر الأجناس لا يذعنون بشيء مثل إذعانهم للعلم ومنهجه وبيناته ودلائله واكتشافاته العلمية ٠

قلت : ولذلك – أرى – أن الوقوف في وجه هذا الإعجاز العلمي وتشويه بعض العلماء لهذا المنهج ورده ما هو إلا صد للدعوة الإسلامية في إحدى مجالاتها العالمية بل والمحلية ، فإن هناك طائفة من الناس يريدون مشاهدة الحقيقة العلمية على أرض الواقع فيؤمنون بالعلم فإذا جاءهم النص القرآني المقدس أو اللفظ النبوي

الشريف وعلموا أن من قال بهذه النصوص لم يكن يعرف من الحقائق العلمية إلا ما جاءت إليه الإشارة في القرآن الكريم والسنة النبوية [١] ٠

وعلموا أيضا أن الأجهزة العلمية والاكتشافات العلمية ووسائل البحث العلمي لم تكن موجودة وقت نزول هذا النص القرآني المقدس واللفظ النبوي الشريف أيقنوا أن هذه الحقائق لها مصدر خارج عن هذه الأرض بل وعن الشخص الذي أنزلت عليه هذه النصوص أيقنوا أنها من عند خالق السماوات والأرض وخالق القوي والقدر ومن بيده كل شيء وهو على كل شيء قدير ، شهدوا وأعلنوا أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله صلي الله عليه وسلم ٠

(١)الموسوعة القرآنية المتخصصة ، ص ٦٩٧ ٠

النتائج

١- إن دراسة الاعجاز العلمي في القرآن والسنة أصبح أمر لاغني عنه لعلماء علوم القرآن والتفسير والحديث النبوي الشريف .

٢- اهتمام العلماء بدراسة الاعجاز القرآني خلال عصور الاسلام الزاهرة .

٣- بدايات دراسات الاعجاز القرآني بدأت مع بدايات الوحي الالهي المنزل علي محمد صلي الله عليه وسلم واهتمام العلماء بها.

٤- اسهم كل جيل من علماء الاسلام في ابراز الاعجاز البياني – اللغوي – التاريخي – العلمي للقرآن والسنة .

٥- اسهام العلم الحديث والاكتشافات العلمية في ابراز الجانب العلمي في الاعجاز .

٦- أهمية الاعجاوز العلمي في كونه وسيلة من وسائل الدعوة الاسلامية في العصر الحديث وخاصة العلماء والمفكرين والباحثين في أسباب نشأة الكون ، وبداية الوجود الانساني علي الأرض

٧- التأكيد علي أهمية الابحاث المتنوعة في الفلك – الانسان – الحيوان – الجمادات والوقوف علي القدرة الالهية فيها.

٨- العمل علي انشاء جيل من ابناء المسلمين للقيام بالربط بين دلالات القرآن ومعطيات العلم الحديث لابراز قيمة القرآن والسنة وسبقهما في اعطاء اشارات علمية واضحة للاعجاز العلمي في القرآن والسنة .

٩- زيادة الانفاق والمخصصات المالية علي الاعجاز العلمي في القرآن والسنة لزيادة الحاجة إلي هذه النوع من الابحاث ، وخاصة بعد انتشار المعلومات الكثيرة في السموات المفتوحة (القنوات الفضائية)وعلي مواقع التواصل الاجتماعي والسوشيال ميديا .

١٠- زيادة ارتباط المسلمين بكتاب ربهم وسنة نبيهم صلي الله عليه وسلم .

١١- التنبيه علي الدعوة القرآنية إلي البحث في الآفاق والأنفس.

قَالَ تَعَالَىٰ: أَعُوذُ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿ سَنُرِيهِمۡ ءَايَٰتِنَا فِي ٱلۡأٓفَاقِ وَفِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّۗ أَوَلَمۡ يَكۡفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ ٥٣ أَلَآ إِنَّهُمۡ فِي مِرۡيَةٖ مِّن لِّقَآءِ رَبِّهِمۡۗ أَلَآ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيۡءٖ مُّحِيطُۢ ٥٤ ﴾ فصلت: ٥٣ - ٥٤

المراجع

١- الإتقان في علوم القرآن – السيوطي –تحقيق : سعيد المندوب الطبعة الأولي ١٤١٦-١٩٩٦ دار الفكر – بيروت
٢- الاسلام دين الإنسانية د / محمد عبد المنعم خفاجي
٣- في عصر العلم د/ محمد أحمد الغمراوي دار العلم للملايين
٤- الأعلام – خير الدين الزركلي – دار العلم للملايين –بيروت الطبعة الخامسة –١٩٨٠ .
٥- الاعجاز العلمي في القرآن والسنة – تاريخه – ضوابطه د / عبد الله المصلح الطبعة الثانية ١٤٢٧/ ٢٠٠٦ .
٦-اعجاز القرآن – الإمام أبي بكر الباقلاني تحقيق : أحمد صقر – دار المعارف مصر – الطبعة الخامسة –١٩٩٧ .
٧- اعجاز القرآن في دراسات السابقين – عبد الكريم الخطيب
٨- البحر المحيط – أبي حيان الاندلسي – دار الكتب العلمية بيروت – لبنان ١٤٢٦ / ٢٠٠٧
٩- بحر العلوم – نصر بن محمد أبو الليث السمرقندي – تحقيق : محمود مطرحي – دار الفكر – بيروت
١٠- البحر المديد بن أبي مكتوم
١١- بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز الفيروزآبادي – طبعة المجلس الأعلي للشئون الإسلامية – لجنة احياء التراث الاسلامي – وزارة الأوقاف – القاهرة ١٤٢٥- ٢٠٠٥
١٢- بين الدين والعلم د / محمد أحمد الغمراوي سلسلة الثقافة الاسلامية كتاب رقم (١٣)
١٣- تفسير الشنقيطي – أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن تحقيق : مكتب البحوث والدراسات – دار الفكر – بيروت ١٤١٥- ١٩٩٥
١٤- تفسير الطبري محمد بن جرير الطبري – دار الفكر – بيروت ١٤٠٥

١٥- تفسير عبد الرزاق
١٦- تفسير القرطبي (الجامع لاحكام القرآن) للامام القرطبي دارالغد العربي – القاهرة
١٧- تكوين الجنين في ظلال القرآن والعلم د/ محمد ابراهيم أحمد رجب
١٨- الجواهر الحسان في علوم القرآن – د/ أحمد محمد صيره
١٩- حجج النبوة – للجاحظ
٢٠- دراسة الأسفار المقدسة في ضوء المعارف الحديثة – موريس بوكاي
٢١- دلائل الاعجاز – عبد القاهر الجرجاني تحقيق د/ التنحي – دار الكتاب العربي – بيروت – الطبعة الأولي – ١٤١٥-١٩٩٥
٢٢-سنن ابن ماجة محمد بن يزيد القزويني تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي – دار الفكر – بيروت
٢٣- سنن أبي داود
٢٤- سنن الترمذي محمد بن عيسي الترمذي السلمي تحقيق : احمد محمد شاكر دار احياء التراث العربي = بيروت
٢٥- شبكة المعلومات الدولية (الانترنت)
٢٦- صحيح البخاري للإ مام محمد بن اسماعيل البخاري الجعفي تحقيق : د/ مصطفي ديب البغا – دار ابن كثير – اليمامة –بيروت
الطبعة الثالثة ١٤٠٧- ١٩٨٧ .
٢٧- صحيح مسلم للإمام مسلم بن الحجاج القشيري تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي – دار إحياء التراث العربي – بيروت
٢٨- علوم القرآن عند أبي حيان الأندلسي د/ محمد إبراهيم أحمد رجب = رسالة دكتوراه غير منشورة – كلية أصول الدين بطنطا – جامعة الأزهر ٢٠١١ .
٢٩ – العقيدة الطحاوية – الحنفي
٣٠- فكرة اعجاز القرآن – د / نعيم الحمصي

٣١- اللباب في علوم الكتاب ابن عجيبة الحنبلي
٣٢- مباحث في علوم القرآن- مناع القطان – مكتبة المعارف للنشر والتوزيع – الرياض – الطبعة الثالثة ١٤١٢هجرية – ٢٠٠٠ ميلادية
٣٣- مجلة الاعجاز العلمي عدد يوليو ١٤٢٩ هجرية
٣٤- مجلة منبر الاسلام وزارة الاوقاف المصرية عدد يوليو ٢٠١٥
٣٥- مجموعة الفتاوي – ابن تيمية تحقيق : عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي النجدي – مكتبة ابن تيمية – الطبعة الثانية .
٣٦- معجزة القرآن الشيخ / محمد متولي الشعراوي مقرر الصف الثالث الاعدادي ١٩٩٣ - ١٩٩٤
٣٧- مناهل العرفان – محمد عبد العظيم الزرقاني تحقيق : أحمد بن علي ، طبعة دار الحديث – القاهرة ١٤٢٢/٢٠٠١
٣٨- الموافقات في أصول الشريعة – الامام أبي اسحاق الشاطبي
طبعة دار المعرفة – بيروت – لبنان .
٣٩- الموسوعة القرآنية المتخصصة – وزارة الاوقاف المصرية القاهرة ١٤٢٧- ٢٠٠٦ .
٤٠- موقع الهيئة العلمية للإعجاز العلمي في القرآن والسنة (نوران)
٤١- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان – ابن خلكان –تحقيق : إحسان عباس – وزارة الثقافة – لبنان